وزارة الاستثمار

سلسلة
رواد الإستثمار

المصور 4



# الرائدة

## فاطمة اليوسف

سلسلة رواد الاستثمار (٤)

# فاطمة اليوسف

## الرائدة

● تأليف: مصطفى بيومى
● رسوم: عصام طه
● خطوط: محمد عبدالمطلب
● ملحق الصور: أرشيف دار الهلال

ALI

## شجرة الليمون

من ليس له ماض ليس له حاضر ولا مستقبل، وماضى الاستثمار المصرى يؤذن بحاضر نلمس ثماره، ومستقبل واعد تلوح تباشيره، وما الفجر ببعيد ، هذه الصفحات بين دفتى هذا الكتاب الرابع من سلسلة «رواد الاستثمار» محاولة محمودة من وزير معتبر «الوزير محمود محيى الدين» ومن وزارة مرتبة «وزارة الاستثمار» لإعادة كتابة تاريخ الاستثمار المصرى الذى يبدو كشجرة ليمون عتيقة ، تزهر فى الربيع وتعبق رائحتها مستقبل الوطن.

الكتاب الرابع «فاطمة اليوسف.. الرائدة» محاولة جادة لرسم صورة جديدة، منصفة، وعادلة، لواحدة من رواد الاستثمار الـ[illegible] الذين تعرضوا لمحاولات تشويه وهدم متعمدة فى زمن مضى، ولأسباب خاصة بتلك العهود التى تنفض مصر كلها غبارها وتمسح سناجها عن وجوه مصرية ذابت عشقا فى حب هذا الوطن وعفرت وجوهها بترابه وغبرت قدميها سعيا لرفعته.

فاطمة اليوسف.. الرائدة ليس موضوعا لكتاب ولكنه كتاب يتذكره أولو الألباب ضمن ثلة من الحادبين على حب الوطن المفدى، ليس تأريخا، بل مزيج إنسانى وطنى فريد، وليس تجميلا فجمال ما صنعت يداها تشهد بها كتابات

المعاصرين، والتالين الفاهمين الواعين لدور الرواد الخلصاء فى رفعة الوطن، ولكنه درس معتبر لأجيال من المستثمرين يشقون الطريق الوعر إلى مستقبل واعد.

حماس «دار الهلال» العريقة لإعادة طبع سلسلة «رواد الاستثمار» واصطحابها كتابا تلو الآخر مع كبرى إصداراتها «المصور» تأكيد من الدار صاحبة الدور الوطنى على الدور الوطنى الذى لعبه هؤلاء فى بناء الوطن ورفعته، وتأكيد على أن هذا الوطن يعرف قدر ومكانة أبنائه الذين ضحوا وبذلوا لكتابة اسمه بحروف من نور، درس لأجيال تسمع عنهم لماما وتتداول شذرات جد ظالمة آن الأوان لكتابة التاريخ على نحو آخر يهدى الحيارى.

***الناشـــر***

## تمهيد

للوهلة الأولى، قد يبدو مثيراً للدهشة أن يظهر اسم السيدة فاطمة اليوسف فى قائمة رواد الاستثمار، ومثل هذه الدهشة المتوقعة نتيجة منطقية تتم عن سيادة مفهوم نمطى قاصر عن العمل الثقافى والفكرى والصحفى، وهو مفهوم يتسم بهيمنة رؤيتين أفرزتا عديداً من المشاكل. الرؤية الأولى قوامها أن الثقافة بتجلياتها المختلفة ليست عملاً اقتصادياً، فكأنها تولد فى الفراغ وتتجه إلى كائنات بعيدة عن التواصل مع الحياة اليومية بطبيعتها المادية. والرؤية الثانية أن النشاط الثقافى فى جملته ينبغى أن يكون مسئولية الدولة والحكومات، وليس من دور للأفراد إلا استهلاك الثقافة أو العمل فى رحابها.

لا يمكن أن يكون الأمر كذلك، فالثقافة نشاط إنسانى بالغ الأهمية وخطير التأثير، ولها سوق يمكن أن تروج أو تبور، دون تعارض مع معطيات القيم والأفكار. الإنسان العادى السوى

يحتاج إلى الطعام والشراب والملبس والمسكن والتعليم والعلاج والمواصلات، احتياجه إلى الكتاب والصحيفة والمجلة والفيلم السينمائى والعرض المسرحى والأغنية والمسلسل التليفزيونى. «إنتاج» هذه «الاحتياجات» الثقافية يعنى الاستثمار فيها، واقتصاديات الثقافة مجال خصب تعثر العمل فيه طويلاً، بعد الاستكانة للفكرة الشائعة القائلة بأن النشاط الفردى ليس مطلوباً، بل إنه ضار ومرفوض، فغاية المستهدف أن يبدع الفرد أو يتلقى الإبداع، أما آلية توزيع هذا الإبداع فلا شأن للإفراد به!.

يبرهن التاريخ الثقافى المصرى، منذ ميلاد الدولة العصرية الحديثة، على أن الصحيفة والكتاب والمسرحية والفيلم والأغنية، كانت إبداعاً لأفراد، وتحقق وصول هذا الإبداع إلى جمهور المستهلكين عبر مؤسسات اقتصادية قوامها فرد أو مجموعة من الأفراد، وليس أدل على ذلك من أن الدور الصحفية العريقة فى مصر: الأهرام ودار الهلال وروز اليوسف وأخبار اليوم، لم تكن إلا «مشروعات» اقتصادية يتبناها

رواد جديرون بالاهتمام، قبل أن تئول الملكية إلى الدولة بقرارات التأميمات فى مطلع الستينيات من القرن العشرين.

اختيار السيدة فاطمة اليوسف، تحديداً، يستند على سببين مهمين متداخلين متكاملين: الأول أنها امرأة اقتحمت مجالاً كان حكراً على الرجال وحدهم، والثانى أنها قدمت صحافة مختلفة ذات فكر جرىء، وأنشأت بإمكانيات محدودة مدرسة تجاوز عمرها الآن ثمانين عاماً، ومازالت فاعلة فى الدفاع عن الأفكار المستنيرة، والمراهنة على قيم التحديث والمعاصرة.

للإحاطة بعطاء السيدة فاطمة اليوسف، الفرد والمؤسسة، ولإدراك قيمة الاستثمار غير المسبوق الذى قدمته، إعلامياً وثقافياً وفكرياً، تتوقف فصول الكتيب أمام محطات رئيسية فى حياتها ورحلة عطائها.

الفصل الأول: «قبل الصحافة»، يستعرض فى إيجاز رحلة حياة السيدة فاطمة اليوسف منذ الميلاد والقدوم إلى مصر، حتى قرارها باعتزال التمثيل المسرحى الذى تربعت على عرشه سنوات

متصلة.

وفى الفصل الثانى: «مسيرة مؤسسة»، توقف أمام المجلة التى أنشأتها وحملت اسمها، ومراحل التطور التى مرت بها حتى رحيل الرائدة الكبيرة فى أبريل عام ١٩٥٨ .

«الاقتصاد والإدارة» عنوان الفصل الثالث، الذى يرصد ويحلل الأسلوب الذى اتبعته فاطمة اليوسف، فى النهوض بالمؤسسة، اقتصادياً وإدارياً، ومنهجها فى التصدى للمشاكل والعقبات، مع استعراض لبعض رؤاها وأفكارها الاقتصادية، وليدة الخبرة والعلم، بشكل عام.

ينشغل الفصل الرابع: «مع طلعت حرب»، بالتوقف أمام العلاقة الوثيقة التى جمعت بين فاطمة اليوسف، والاقتصادى الكبير الرائد، الذى لعب دوراً بالغ الأهمية فى حياة السيدة والمؤسسة.

الفصل الخامس والأخير: «أعمدة الشخصية»، يسعى إلى تحديد أهم المذكرات التى تمثل ملامح شخصية فاطمة اليوسف، ومن خلالها يمكن الوعى بالأسباب الحقيقية التى دفعت بها إلى

قمة النجاح والتألق.

أما «الخاتمة»، فالغاية منها هى استخلاص الدروس الإيجابية التى استعرضتها فصول الكتيب السابقة، ذلك أن الهدف هو تسليط الضوء على ما يمكن أن يعين فى مواصلة المسيرة والإفادة من العطاء الناجح.

لقد كتبت السيدة فاطمة اليوسف مؤلفاً ممتعاً عن حياتها وكفاحها يحمل عنوان «ذكريات»، وكتب عنها الكثير من الباحثين فى مجال الصحافة، وفى طليعتهم الدكتور إبراهيم عبده: «روز اليوسف.. سيرة وصحيفة». وإذا كان التركيز فى هذين الكتابين قد أبدى الاهتمام بمجمل الحياة والإنجاز، فإن الذى يهدف إليه كتيبنا هذا هو الانشغال بالمنحى الاقتصادى والإدارى، الذى لا ينفصل عن الأفكار والرسالة والحياة الشخصية، للبرهنة على طبيعة الريادة الاستثمارية لسيدة قدمت أنموذجاً فريداً فى الريادة والإرادة معاً.

مصطفى بيومى

# الفصل الأول
# قبل الصحافة

- ١ -

ولدت فاطمة اليوسف فى مدينة طرابلس اللبنانية، وعاشت طفولتها المبكرة فى أحضان أسرة غريبة عنها، ينعكس معتقدها المسيحى على الاسم الذى تنادى به الطفلة المسلمة: روز.

ماتت أم فاطمة فى أعقاب ولادتها، وسافر الأب محمد محيى الدين اليوسف إلى إسطنبول ولم يُقدر لابنته أن تراه أو تعرف متى غاب عن الدنيا. كان تاجراً ثرياً لا يعرف الاستقرار، فهو دائم التنقل بين الولايات التى تشكل فى مجموعها ما كان يعرف باسم الإمبراطورية العثمانية. اختار أسرة بديلة لابنته، وأبقى معها المربية خديجة، وتكفل بمصروف شهرى ظل يدفعه بانتظام حتى حالت ظروف غامضة دون استمراره فى تقديم الدعم، وهنا ازدادت معاملة الأسرة البديلة سوءاً، وواجهت الطفلة فاطمة عنتاً يواجهه كل يتيم لا يجد من يحنو عليه أو يشفق.

لم تجد الأسرة الغريبة حرجاً فى الموافقة على عرض تقدم به أحد العازمين على الهجرة، فى اصطحاب الطفلة لتؤنسه فى غربته، لكن القدر أراد لها أن تهبط إلى الإسكندرية ولا تواصل رحلتها إلى البرازيل.

- ٢ -

في الإسكندرية، عاشت فاطمة في كفالة إسكندر فرح، عضواً في أسرته، وفي بيئتها هذه عرفت الفن المسرحي لأول مرة، فإسكندر صاحب فرقة مسرحية، والطفلة الصغيرة تتعلق بالفن الذي تشاهده كل يوم، وتتخيل نفسها واحدة من الممثلات اللاتي تراقبهن من مجلسها في كواليس المسرح.

بعد الانتقال إلى القاهرة، بدأت فاطمة حياتها الفنية بمجموعة من الأدوار الصغيرة، لا تنطق فيها إلا كلمات قلائل، ثم ارتقت بها موهبتها حتى وصلت إلى القمة وتربعت عليها.

تتلمذت فاطمة على يد الفنان الكبير عزيز عيد، الذي كلف أحد الشيوخ بتعليمها اللغة العربية الفصحى، وأخذ على عاتقه أن يعلمها اللغة الفرنسية. كان منطقياً أن تبدأ بأداء الأدوار الصغيرة، لكن اللافت للنظر أن بداية تألقها، في مسرحية «عواطف البنين»، كان من خلال دور عجوز في السبعين، وهو الدور الذي برعت في تجسيده وهي دون العشرين. صفق لها الجمهور مظهراً علامات الرضا والاستحسان، وإذا بالصغيرة الضئيلة بصوتها الخافت وعثراتها على خشبة المسرح، يبزغ

نجمها فى لحظات، ويبقى هذا النجم سنوات وسنوات، لا تستطيع ممثلة أخرى أن تشرق بجانبه، مهما أوتيت من القدرة والافتتان. ومنذ ذلك التاريخ، وبعد دور الجدة، تفتحت السيرة الرائعة لروز اليوسف، وأخذت تعتلى خشبة المسرح فى أكثر من رواية، وفى مختلف أنواع التمثيل، ومضت تعمل مؤمنة برسالة الفن، إيمانها دائماً بكل شىء جميل.

لم يكن الفن المسرحى المصرى، فى ذلك العهد البعيد، إلا طريقاً غير ممهد، وكانت نهاية الحرب العالمية الأولى كبداية لتغيير جوهرى فى فن المسرح من ناحية، وفى نظرة الشعب إليه من ناحية أخرى، فقد بدأ الجمهور يعى المعنى الكبير الذى يجعل من هذا الفن أداة تهذيب وتثقيف، وبدأ الكثير من أهل العلم يمارسون هذا الفن على أنه حرفة أساسية فى حياتهم، ثم خرج من يسمونهم «أبناء الذوات» إلى خشبة المسرح، يحصنهم مال وفير وعزيمة قوية، فاحترفوا هذه المهنة، ومن بينهم الممثل الكبير يوسف وهبى.

روزاليوسف بطلة فرقة يوسف وهبى وممثلتها الأولى، وقامت بأداء أدوار البطولة فى معظم مسرحيات الفنان الكبير، ووصلت إلى ذروة المجد عندما مثلت دور

«مرجريت جوتيه» فى مسرحية «غادة الكاميليا»، وبفضل أدائها المبدع للدور الشهير فى عالم المسرح، أُطلق عليها أكثر أسمائها شهرة ودلالة: «سارة برنار الشرق».

الفنان الكبير عزيز عيد هو صاحب الفضل الأول والأعظم تأثيراً فى تألق موهبة روزاليوسف التمثيلية، وعبر سنوات عمرها كانت السيدة الرائدة تقر بفضل أستاذها، وتحفظ له جميله فى رعايتها وتوجيهها. كتبت عنه الكثير فى كتابها «ذكريات»، وأكدت أنه فى حاجة إلى من يكتب عنه ويفيه بعض حقه: «فتاريخ هذا الرائد الأول الذى لم يكن يوجد غيره فى الوسط الفنى فى ذلك الوقت يكاد يندثر، وتلاميذه الباقون على قيد الحياة يذكرون كل شىء إلا عزيز عيد. هذا فضلاً عن أن قصة حياة عزيز العاصفة، بما فيها من صعود وسقوط.. وبسمات ودموع، ليست إلا قصة الحركة الفنية فى هذه الفترة المضطربة التى كانت بالنسبة لفن التمثيل، فترة الميلاد».

- ٣ -

كانت فاطمة اليوسف أقرب إلى الطفولة عندما قامت بدور امرأة عجوز فى السبعين من عمرها، وهو الدور

الذى رفضته الممثلات الآخريات حتى لا يقال إنهن متقدمات فى السن!. ثمة إجماع على أن مسرحية «عواطف البنين» هى نقطة الانطلاق فى الحياة الفنية للرائدة الكبيرة، ثم توالت أعمالها التى جعلت منها الممثلة المسرحية الأولى فى مصر.

فى دراسته الممتعة «روزاليوسف.. سيرة وصحيفة»، يكتب الدكتور إبراهيم عبده: «ويبدو لمن يؤرخ سيرة روزاليوسف فى المسرح، أنها كانت شديدة الحرص جداً على كرامتها، وأنها لم ترض قط أن تمس هذه الكرامة، وآية ذلك أن بقاءها فى فرقة واحدة لم يكن أمراً ميسوراً، لذلك أخذت تمضى من فرقة إلى فرقة، يطول مكثها ما طال تقدير كرامتها ويقصر بقاؤها حين تحس أن هذه الكرامة فى خطر مهما يكن من نتائج، ولذلك لم ترض البقاء فى فرقة رمسيس وهجرتها».

وثمة شهادة بالغة الأهمية، عن عبقرية الأداء التمثيلى لروز اليوسف، يقدمها الكاتب المعاصر لها والمولع بها إبراهيم رمزى، ويقول فيها: «وبلغت ياسيدتى من المجد فى تلك الأيام مبلغاً يعرفه الجمهور الذى أصبح لا يعترف لأحد بالفن الصحيح وحبه والهيام به، كما يعترف لك أنت بالذات، فهو يراك الأولى، ولا يرى

لك ثانياً ولا ثالثاً، وإذا عد غيرك فى ذلك النظام بدىء به فى الدرجة الرابعة والخامسة فما وراءهما.. عبقرية أعرفها فيك جعلتك تمثلين الأدوار البلدية العريقة والعصرية الدقيقة والتاريخية العميقة، فتبدو آية الآيات».

هى ملكة حين يراد منها أن تمثل دور الملكة، وهى الشعبية السوقية حين يتطلب الدور أن تكون كذلك، وهل الممثل الفذ إلا من يتغلب على النمطية وسجن الدور الواحد؟!.

- ٤ -

وصلت فاطمة اليوسف إلى الذروة فى ساحة الفن، وبمحض إرادتها قررت أن تعتزل وهى فى قمة النضج والتألق. من الناحية المادية، كانت الفنانة الكبيرة عند اعتزالها صاحبة الأجر الأعلى، ومن الناحية المعنوية، كانت النجمة الأولى بلا منازع، لكنها اتخذت قرارها مدفوعة برؤية متماسكة تستحق التأمل والتقدير، وينص كلماتها بالغة الإيجاز والدقة والوضوح: «وكان من رأيها دائماً أن الفنان يجب أن يترك المسرح قبل أن يتركه المسرح.. وأن من يبنى مجده درجة درجة يجب ألا يفرط فيه، ولا يترك نفسه يهبط السلم الذى صعده.. وهو

الشيء الذى لا يؤمن به - مع الأسف - الكثـير من فنانينا»!.

المسرح عندها رسالة، ولو أنها كانت تستهدف المكسب المادى وحده، كما يردد بعض خصومها دون مبالاة بالمنطق، لبقيت مع نجيب الريحانى فى فرقته المسرحية، التى تقدم عروضاً من طراز يختلف عما تعودته. لقد اتفق الفنان الكوميدى الكبير مع السيدة فاطمة اليوسف أن تكون النجمة الأولى لفرقته براتب شهرى قدره سبعون جنيهاً، وهو أعلى أجر يمكن لممثلة أن تحصل عليه خلال العشرينيات من القرن العشرين، لكن أسلوب الريحانى فى الأداء لم يكن متوافقاً مع المدرسة المسرحية الجادة التى تنتمى إليها روزاليوسف، وهو ما حال بينها وبين الأداء على النحو الذى تحبه، ولذلك آثرت أن تبتعد سريعاً عن فرقة الريحانى، دون تفكير فى العائد المادى، ثم قررت أن تعتزل التمثيل لأن المناخ السائد لم يعد مشجعاً لها على الاستمرار المشبع.

راتب شهرى قدره سبعون جنيهاً، فى العشرينيات من القرن الماضى، يعنى ثروة طائلة، لكن الفنانة الكبيرة الأصيلة، صغيرة السن عظيمة المقام، ترفض الاستمرار

فى تقديم ما لا يروق لها من أنوار، ولو أن الربح المادى هو ما تسعى إليه لبقيت واستمرت. أليس مما يخالف أبجديات البحث العلمى أن يكتب أحد الباحثين، دون مراعاة لمنطق أو منهج، أنها اتجهت إلى الصحافة لأن العدد الواحد من المجلة يحقق ربحاً صافياً قدره خمسة جنيهات؟!.

رفضت فاطمة اليوسف أن تخضع لمتطلبات السوق وما يفرضه من قيم، وتشبثت بالفن الرفيع الجاد الذى لا يهبط إلى الحضيض، ولا تقتصر رسالته على التسلية الرخيصة، متذرعاً بنظرية النزول إلى مستوى الجمهور!.

لم يكن اعتزالها المبكر لنضوب فى الموهبة، أو خمول فى القدرة، لكنه القرار الصعب فى التوقيت الذى بدا لها مناسباً.

- ٥ -

ليس أدل على بقاء موهبتها التمثيلية متوهجة من عودتها إلى خشبة المسرح بعد سنوات طوال من الاعتزال، ولهذه العودة قصة تكشف عن ملمح مهم فى شخصيتها الثرية.

بعد تسع سنوات من اعتزال السيدة فاطمة اليوسف

للتمثيل، شب حريق هائل التهم قرية «محلة زياد»، وكانت كارثة مروعة اهتزت لها مصر، وتسابق الناس للتبرع من أجل إعادة بناء القرية المنكوبة. بادرت السيدة فاطمة بإعادة تمثيل مسرحيتها الشهيرة «غادة الكاميليا»، على أن يخصص دخلها كاملاً لإعادة البناء.

كان زعيم الوفد مصطفى النحاس على رأس مشاهدى المسرحية، ومعه من أقطاب الوفد محمود فهمى النقراشى ومكرم عبيد. بيعت التذاكر بأسعار مرتفعة، لكن الصالة امتلأت فى ليلتى العرض، وبعدها لم تصعد الفنانة القديرة إلى خشبة المسرح.

لم يكن الحماس لهذا العرض الاستثنائى إلا امتداداً لسلوك السيدة التى تؤمن بالوظيفة الاجتماعية للفن، ذلك أنها صاحبة رسالة وليست مجرد ممثلة محترفة تتقن عملها.

اعتزال التمثيل لا يعنى مخاصمة الفن والاحتجاب عن الحياة اليومية للمجتمع، ولم يكن التوجه إلى الساحة الصحفية إلا تعبيراً عن رغبة كامنة فى مواصلة المسيرة والانتصار للرسالة التى سعت إلى تجسيدها خلال المرحلة المسرحية.

لو أن الربح هو هدفها لاختارت مجالاً آخر، أقل خطورة وأغزر مكسباً، لكن الأمر ليس مادياً فى المقام الأول، بل إنه البحث عن مشروع يتداخل فيه الاقتصادى والفكرى، والعمل والمعنى معاً.

- ٦ -

هل من مشترك بين التمثيل والصحافة؟!. ما كان لفاطمة اليوسف أن تختار عملاً بديلاً يبتعد بها عن الأضواء، وهذا هو المشترك الأول بين المهنتين، فالأضواء جوهر المسرح والصحافة معاً. لا تقوى صاحبة الأمجاد المسرحية على الركون إلى الظل، وقد انتقلت من أداء الأدوار التى يكتبها الآخرون، إلى القيام بدور تكتبه بنفسها.

يتمثل المشترك الثانى فى المغامرة واقتحام الجديد غير المألوف، وقد كان الشائع عن المرأة فى الربع الأول من القرن العشرين، أنها حبيسة البيت وأسيرة جناح الحريم، لا ينبغى أن تبرحه إلا إلى القبر!. وإذا كان الفن مداناً لا يحظى بالقبول الاجتماعى لوجود المرأة فيه، فإن العمل فى الصحافة مجال آخر لا ينال القبول، ولا يليق بالمرأة أن تسهم فيه.

يبقى المشترك الثالث والأهم، ونعنى به أن الهدف

الأسـمى من الفن والصـحـافـة هو تقـديم الرسـالة التى يؤمن بهـا الفنان ويتـحـمس لهـا الصـحـفى. الوظيـفتـان مـحـاطتـان بالكثـيـر من المخـاطر والصـعـوبات، وقـد اقتـحمتـهمـا الرائدة التى تكره كل مـا هو راكد وتقليدى ومستقر آسن!.

# الفصل الثانى
# مسيرة مؤسسة

- ١ -

كانت مدرسة «روزاليوسف» الصحفية، منذ ميلادها، معنى جديداً فى عالم الصحافة المصرية، وكانت تجسيداً عملياً للمتغيرات العميقة التى طرأت على حياة المصريين بعد ثورة سنة ١٩١٩. نهضة فى شتى المجالات، وتطلع إلى الأسمى والأرقى، وطموح إلى اللحاق بركب الحضارة.

الفصل ليس وارداً بين الصحيفة ومنشئتها، وبتعبير الدكتور إبراهيم عبده: «لا يستطيع مؤرخ صحافتنا أن يفصل بين تاريخ فاطمة اليوسف وتاريخ صحيفتها روزاليوسف، فإن الفصل بينهما كالفصل بين الروح والجسد، لأن صاحبة السيرة لم تكن مثرية عُرضت عليها فكرة إنشاء مجلة فأعجبتها فأمدتها بالمال، بل إن الفكرة فى إنشاء هذه المجلة كانت من وحيها، كما كان اختيار اسم المجلة ومحرريها وموظفيها من عملها وحدها. وأنشئت المجلة بلا مال أو مطبعة أو مكان، على النحو المفروض إعداده قبل أى خطوة يخطوها أصحاب الصحف، وهم يتهيأون لمثل هذا العمل الخطير.

.. ولكنها فاطمة اليوسف»!.

- ٢ -

ولدت فكرة إصدار المجلة فى محل «حلوانى كساب»، وكانت السيدة فاطمة اليوسف تجلس مع مجموعة من أصدقائها، عندما جاء بائع الصحف بالعدد الجديد من مجلة «الحاوى»، وأبدت الفنانة الكبيرة استياءها من الحملات الجائرة التى تشنها هذه المجلة ضد الفن والفنانين، ومن الأخبار المسيئة الكاذبة.

سألت نفسها: إلى من يلجأ هؤلاء الفنانون ليردوا عن أنفسهم طوفان التشويه المغرض والشائعات المشينة التى لا تتوقف؟. ليس لهم من لسان يعبر عنهم ويذود عن سمعتهم، وهنا نبتت فى ذهنها فكرة إنشاء مجلة تحقق هذا الهدف: حماية أهل الفن من التشنيعات، وإنصافهم من الخصوم الذين لا يعرفون الموضوعية والاعتدال.

ولدت المجلة عبر تعاون وثيق بين السيدة فاطمة اليوسف و«الشاب» الصحفى الموهوب محمد التابعى، صاحب الأسلوب الفريد غير المسبوق فى تاريخ الصحافة المصرية، والذى أنشأ مدرسة لا ينكر فضلها ولا يشكك فى ريادتها أحد.

كان اقتحام الساحة الصحفية عملية شاقة للرجال

الأشداء، فكيف يكون الأمر بالنسبة للسيدات؟!. لم يكن عمل المرأة فى أى مجال مستساغاً بعد، فكيف إذا كان عملها فى الصحافة، غابة الرجال والصراعات السياسية والاجتماعية؟!.

صدر العدد الأول من مجلة «روزاليوسف» يوم الاثنين ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٢٥، وكتبت السيدة الرائدة افتتاحية أنهتها بكلمات دالة، تعبر عن الرسالة التى تؤمن بها: «وإذا وفقت بهذه الصحيفة أن أكون قوة مهذبة، وأن أدخل اسم المسرح إلى كل أذن، وأن أبعث اسمه فى كل دار، فقد أديت واجباً، وذا حسبى وسأسعى جهدى».

وتتجلى الديمقراطية الأصيلة للمجلة الوليدة منذ عددها الأول، فقد نشرت مقالاً للكاتب الكبير إبراهيم عبدالقادر المازنى، يهاجم فيه اشتغال السيدة فاطمة اليوسف بالصحافة، ويرى أن المسرح أولى بها: «هناك إذن على المسرح مجالك ياسيدتى فارجعى إليه، وإذا أبيت إلا المجلة فلتكن سلوى لا شغلانا»!.

- ٣ -

ولدت المجلة منشغلة بالفن وقضاياه فى المقام الأول، واتسع اهتمامها سريعاً ليتجاوز المسرح إلى السينما،

ذلك الفن الوليد الذى لم يكن قد حظى بعد بالاهتمام والمتابعة. الفن على صفحات «روزاليوسف» رسالة وثقافة، ومكانة الفنان فى المجتمع لا ينبغى أن تقل عن قادتها من صانعى القرار السياسى والاقتصادى. ولأن العقليات المتحجرة تأبى إلا أن ترى الفن لهواً وعبثاً، فقد أبدى أحد كبار الموظفين فى إدارة الأمن العام غضبه من خبر نشرته المجلة، تقول فيه إن أحد أصحاب المعالى من الوزراء قد صعد إلى المسرح، وهنأ السيدة منيرة المهدية والمطرب محمد عبدالوهاب على أدائهما الرائع فى مسرحية «كليوباترة مارك أنطوان»، وأرسل الموظف الكبير نسخة من المجلة إلى إدارة المطبوعات، لكى تلفت نظر المسئولين عن التحرير إلى أن «نشر هذا الخبر أمر غير لائق»!.

كتبت السيدة فاطمة اليوسف رداً لاذعاً، سخرت فيه من الذين يستهينون بجلال الفن وقيمة الفنانين: «ألا فليعلم حضرة صاحب السعادة أو صاحب العزة موظف إدارة الأمن العام أن مصر فقط دون كافة الأمم هى التى تخرج عقولاً مثل هذه العقول.. القديمة المحافظة المحترمة!. وأما فى أوروبا وأمريكا وغيرهما من البلدان التى حرمها الله من عقليات شبيهة بعقلية سعادته أو

عزته فإن مقام الممثلة أو الممثل يساوى أى مقام آخر.. وأن الوزراء والأمراء يتسابقون إلى مصافحة فنانة كبيرة أو فنان كبير، وأنهم يعدونه شرفاً كبيراً يوم تتنازل ممثلة كبيرة فتلبى دعوة أحدهم لتناول العشاء على مائدته».

إنها تلقن دروساً، يحتاجها كثير من المعاصرين!.

- ٤ -

كانت فاطمة اليوسف بطبيعتها سيدة نضال، وكانت مصر إذ ذاك، فى النصف الثانى من العشرينيات، منشغلة بالقضايا والصراعات السياسية، فلم يكن ممكناً أن تبتعد المجلة عن معالجة ما يهتم به الناس، وبخاصة على الصعيد السياسى.

كانت السنة الثالثة من حياة «روزاليوسف» مرحلة انتقال، فقد تحولت من الفن إلى السياسة، وتفاعلت مع المشاكل التى برزت بعد وفاة الزعيم سعد زغلول، الذى ترك البلاد موحدة الفكر والرأى، قبل أن ينتهى الائتلاف، ويقدم الملك أحمد فؤاد على إقالة وزارة مصطفى النحاس، ليكلف أحد زعماء الأقلية، محمد محمود باشا، بتشكيل الوزارة.

يقول الدكتور إبراهيم عبده عن هذه المرحلة فى

تاريخ مؤسسة روزاليوسف» الصحفية: «ولا أزعم أن المؤرخ يعجز عن فهم اتجاه روزاليوسف وإلى أى الجوانب كانت تميل قبل السنة الثالثة، فهى معجبة أشد الإعجاب بسعد زغلول، تنشر صورته فى صدرها، وإلى جانبه زوجته تحية إجلال وإكبار، ثم هى لا تنفك تذكره بالخير وتسميه الرئيس الجليل، ولا يهون من ذلك نقد سياسته أو سياسة أنصاره فى البرلمان. وقد بقيت على إيمانها بسعد إلى يوم وفاتها».

ويذهب الدكتور إبراهيم إلى أن المجلة قد أخذت جانب الوفد منذ مات سعد، وولى الأمر من بعده مصطفى النحاس، الذى نشرت صورته ملء صفحتها الأولى من عددها المائة، وشغلت الجزء الخاص بالسياسة فى الدعاية لزعيم الوفد الجديد.

وقفت روزاليوسف مع الوفد بلا تحفظ، وكشفت عن تأييد غير محدود فى مواجهة حكومة الأقلية التى فرضها الملك فؤاد. وقرب نهاية سنة ١٩٢٧، بدأت المجلة فى نشر مقالات عنوانها «ملوك أوروبا تحت ستار الظلام»، وكان آخر هذه المقالات عن «الخديو إسماعيل والملكة فكتوريا»، وهو المقال الذى رأى فيه فؤاد تعريضاً بأبيه. قبض على محمد التابعى، وأغلقت المجلة ابتداء

من ٢٧ ديسمبر إلى الثانى من فبراير سنة ١٩٢٨.

لم تتوقف الحملات العنيفة ضد محمد محمود، وعندما قفز إسماعيل صدقى إلى رئاسة الوزراء، لم يقنع بتعطيل الدستور، بل إنه صنع دستوراً جديداً، واصطنع برلماناً من مجلسين، يؤيده بلا حدود. تفنن العهد الجديد فى التضييق على الصحافة وحريتها، ولقيت «روزاليوسف» من عنت العهد الجديد مثلما لقيت من سائر العهود، إذ كانت لا تزال على رأس صحف الوفد، بل أوسعها انتشاراً وأشدها نقداً للوزارة، وأسخاها فى سبيل كشف المستور من فضائح تلك العهود، وأكثرها إيماناً بحزبيتها، وهى حزبية لم يكن فيها شك أو ريب.

احتجبت روزاليوسف معظم شهر أغسطس سنة ١٩٣١، حيث ألغى إسماعيل صدقى رخصتها، ثم عادت إلى الظهور بعد صدور دستور صدقى باشا، فنشرت فى أول عدد بعد الاحتجاب مقالاً عنوانه: «على أبواب السنة السابعة»، ذكرت فيه أن عمر المجلة بعد شهرين سيصبح ستة أعوام: «وكان يجب أن تصدر فيها حوالى ٣٦٠ مرة، فأُختزل هذا الرقم الضخم إلى حيث لم ير القراء منها إلا مائة وخمسة وثمانين»!.

وتواصل المجلة: «والفرق بين الرقمين من أعداد روزاليوسف، إما أنه طبع وصودر وأكلته وسمنت عليه جرذان المحافظة حتى أصبحت كالعجول، وإما أنه عدت عليه الأزمات السياسية، كل أزمة تقتطع لنفسها منه قطعة، تارة باسم الآداب، وأخرى باسم اضطراب الخواطر وحماية النظام، وباسم كل شيء إلا الشيء الحقيقي الوحيد، إن هذه المجلة عاشت ما عاشت راضية أن تجوع ولا تأكل بثدييها، آبية أن تضع يدها في الأيدي التي عبثت بالحرية وباعت بالثمن البخس كل كرامة للبلاد».

تاريخ حافل بالدفاع عن الحرية، وثمن فادح للتمسك بالانتماء الشعبي الأصيل.

- ٥ -

التزمت «روزاليوسف» بالانتماء إلى الوفد منذ العام ١٩٢٨، وكان الالتزام نابعاً من الإيمان بالعقيدة الوطنية النضالية للحزب، وخاضت المجلة معارك عنيفة ضد خصوم الوفد، وضد الوفديين المخالفين لسياسة النحاس المنشقين على قيادته. من المنطقي إذن أن يظهر سؤال عن الأسباب التي غيرت المسار، ودفعت بالمجلة وصاحبتها إلى التمرد على الحزب والزعيم، وتعرضت في سبيل ذلك للكثير من الأذى والعنت.

لقد سقط اسماعيل صدقى وجاءت حكومة جديدة برئاسة توفيق نسيم، وهى الحكومة التى استقبلها الوفد بترحيب حار ينم عن الإيمان بقدرتها على معالجة الأخطاء المتراكمة، والتمهيد للحكم الشعبى الديمقراطى، لكن الشهور مضت ولم يحقق نسيم شيئاً ذا بال، ولذلك: «بدأت روزاليوسف تنتقد هذا الموقف من الحكومة النسيمية وتطالب بالدستور وتصحيح الأوضاع السياسية، وألحت فى ذلك إلحاحاً ملحوظاً نغص على نسيم باشا حياته، وفزع إلى حماته من رجال الوفد كى يوقفوا حملة الصحيفة التى تنطق بلسانهم. وتدخل الوفديون فعلاً لوقف تلك الحملات، أو إرجائها على أقل تقدير، غير أن روزاليوسف لم تصغ للرغبة الوفدية، وكانت ترى أن الصالح العام يقتضى من صحافة الوفديين والصحف الحرة أن تطالب الحكومة بما تطالبها به هى، حتى يستقيم الأمر ويشعر الشعب أنه واصل من فوره إلى غاياته».

خلال تلك الفترة العاصفة، صدرت روزاليوسف «اليومية»، وتحمل مسئولية الإصدار عملاقان فى تاريخ الصحافة المصرية: عباس محمود العقاد ومحمود عزمى، وخلال الفترة نفسها وقع الخلاف بين فاطمة

اليوسف ومحمد التابعي، وكان خروج الصحفي الكبير زلزالاً، فقد خرج معه الأخوان مصطفى وعلى أمين، والدكتور سعيد عبده، والفنان صاروخان، وغيرهم.

اشتعل الصراع مع الوفد بعد صدور قرار من الزعامة الوفدية بخروج المجلة وصاحبتها عن الخط الوفدي، وتحمس بعض شباب الوفديين حتى أنهم قذفوا دار الصحيفة بالطوب، وخرجت المظاهرات تهتف بسقوطها!.

كان الخلاف مع الوفد سياسياً، بسبب تباين المواقف من حكومة توفيق نسيم، ولم يخل الأمر من خصومات شخصية مع مكرم عبيد، سكرتير الوفد والأقرب إلى قلب النحاس. ولقد كتبت السيدة فاطمة اليوسف مقالاً مطولاً تشرح فيه رؤيتها، وجاء فى مقالها إنها: «رفضت الوحى الذى كان يجيئها من النحاس باشا والأستاذ مكرم، لأنه وحى ملتو»!.

وتحمل السيدة فاطمة على النحاس ومكرم، معلنة أنهما شيء والوفد شيء آخر: «قضيتنا تحمل فى طياتها تبرم أمة من ضعف زعامة، لم تعد تشغلها الآن إلا أمور الدنيا ومتعتها».

كانت المحنة قاصمة للظهر، فالاختلاف مع الوفد

ليس بالأمر الهين، وهو الحزب صاحب الشعبية الطاغية، لكن المسيرة تستمر بلا توقف، والراية الوطنية ترفرف بلا انقطاع، وملحمة النضال تستمر فى إصرار عنيد لا التفات فيه إلى قسوة الاضطهاد وشبح الإفلاس.

- ٦ -

أصبحت مجلة روزاليوسف، بعد أن تحررت من الانتماء الحزبى، صحيفة مستقلة. مضت فى استقلالها، ولم تحد قط عن هذا الخط المستقيم. لا يعنى هذا أنها أصبحت بحيث لا تؤثر فى مجريات الأحوال، أو تتأثر بالحوادث العامة، بل إنها سارت على غرار السنوات السابقة، تدلى بدلوها فى كل كبيرة وصغيرة، لا ترحم مخطئاً، ولا تضن بالثناء على من يستحقه ولو كان من ألد خصومها، مولية سياستها العامة نحو هدفين: أولهما مجاهدة الاستعمار وكشف مخازيه، وثانيهما السعى لتحقيق الأوضاع الدستورية الصحيحة، وإن ساء ذلك الملك وبطانته، وإن ترتب على ذلك اضطهاد.

وقد اتخذت روزاليوسف موقفاً رافضاً لمعاهدة سنة ١٩٣٦، ولا يتسع المجال هنا لاستعراض ما أحاط بالمعاهدة من ملابسات داخلية ودولية، لكن الخصومة بلغت ذروة غير مسبوقة، ولعل فى التوقف أمام بعض

سطور الدكتور إبراهيم عبده، فى دراسته الرائدة عن السيدة فاطمة اليوسف، ما يعين فى فهم طبيعة الصراع المحتدم، وما يلقى الضوء ساطعاً على ما تشهده الساحة الصحفية المعاصرة أيضاً: «وإن المؤرخ ليحزن حين يعود إلى الصحف إذ ذاك، فيجدها وقد أخذ بعضها ينهش بعضاً، وبلغ التطاحن حداً لا يحتمل بين الصحافة المؤيدة والصحافة المعارضة، وولغ كل فى ذمة وشرف صاحبه، ومع ذلك فإن روزاليوسف مع عنف مقالها، وقاسى تعبيرها، وشديد لهجتها، لم تبز خصومها من الصحف المؤيدة، ومهما تعنف فإن ما لقيته من أذى المنشور عنها، يبيح لها أكثر مما نشرت».

كان من حق روزاليوسف، ومن واجبها أيضاً، أن ترد الصاع صاعين ، لكن الثابت المستقر فى سياستها التحريرية هو تجنب الخوض فى السير الشخصية ونهش الأعراض، وقد ظل هذا المنهج النبيل مميزاً لها بلا توقف.

- ٧ -

### اشتعلت الحرب العالمية الثانية

فرضت القيود على حرية الرأى، وعجزت مجلة

روزاليـوسف عن الانطلاق المأثور عنهـا، فـهى تخـضـع كغيرها من الصحف للرقابة والرقيب، وكانت الرقابة تحت السيطرة الإنجليزية.

اضطرت روزاليوسف إلى تخفيض عدد الصفحات، من أكثر من ستين صفحة إلى ست وثلاثين صفحة فى سنة ١٩٤٠، ثم إلى ثمانٍ وعشرين صفحة سنة ١٩٤١، وبعد ذلك هبط عدد صفحاتها إلى عشرين صفحة، والسبب فى ذلك أن أسعار الورق قد ارتفعت فى السوق السوداء إلى عشرة أمثالها. وكانت الحكومة تسمح لها بثمانمائة كيلو جرام فى الشهر بالسعر الرسمى، وهذا قدر ما كان يكفى أسبوعاً فى الظروف العادية، فضلاً عن أن الغلاف نفسه خلا من ألوانه الزاهية، نظراً لغلاء أثمان الأحبار وسائر التكاليف.

أجازت الرقابة لروز اليوسف أن تبدع فى الصور الكاريكاتورية، طالما أنها بعيدة عن الأمور السياسية التى تمس شئون الحرب بشكل مباشر، فاتجهت المجلة إلى التركيز والإبداع فى هذا المجال، لتناقش من خلاله عدداً من القضايا الاجتماعية الخطيرة، ومن ذلك - على سبيل المثال - مجموعة من الصور الكاريكاتورية عن «أزمة البصل» وغيابه عن الأسواق، فقد رسمت مليونيراً

يمسك بيده بصلة وهو يردد المثل الشعبى المشهور: «صمت وفطرت على بصلة»!، كما رسمت صورة لرجل يغازل إحدى السيدات قائلاً: «إن عبير البصل يهب علىّ من أنفاسك»!، ورسمت سيدة تنظر إلى زجاجة عطر مكتوباً عليها فى سخرية لاذعة: «رائحة البصل»!.

وإذا كانت الصحف المصرية جميعاً قد عانت من رقابة الإنجليز، فى سنوات الحرب العالمية الثانية، فإن روزاليوسف قد لاقت من العنف والإرهاب أكثر مما لقيته الصحف الأخرى، وعلى الرغم من ذلك، فإنها تفوقت فى طرائق التعبير، ونجحت فى كشف المجهول بلباقة عزت على سائر الصحف، سواء اتصل ذلك بأخبار الحكومة، أو بالمقالات التى تكشف سطوة وسلطان الإنجليز.

إذا عز التصريح المباشر، وفرضت الرقابة قيوداً تكبل حرية التعبير، فإن البديل الوحيد هو التفوق المهنى والقدرة على الابتكار والتحايل.

- ٨ -

انتهت الحرب، وتبدل العهد، وازدادت صفحات المجلة حتى بلغت سنة ١٩٤٨ ستاً وثلاثين صفحة. وعلى الرغم من استمرار روزاليوسف، كالعهد بها دائماً، فى

الانشغال بقضايا مصر الداخلية، على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية، فإنها قد أبدت اهتماماً كبيراً بالقضية الفلسطينية، ومنذ عام ١٩٤٧، أفاضت المجلة فى الحديث عن خيانات الإنجليز للعرب، وازدياد القوة التسليحية لليهود، كما حملت المجلة فى عنف وشدة على الصهيونية وحماتها.

لم تعرف المجلة الرائدة لغة المهادنة، وانحازت دائماً إلى الشعب وقضاياه المصيرية. كانت أعدادها فى السنتين الأخيرتين قبل ثورة يوليو، بمثابة اللوحة المتكاملة عن المناخ الذى قامت بسببه الثورة، التى أيدتها روزاليوسف بلا حدود، واصطدمت معها دفاعاً عن قضايا الحرية.

كانت روزاليوسف مع الثورة، وتحمست لها دون تردد، وخصصت صفحاتها للدفاع عن توجهها الوطنى، لكن هذا كله لم يحل دون التمسك بالحرية والديمقراطية، وهو موقف دفع إحسان عبدالقدوس، رئيس التحرير الشاب الذى تحمل المسئولية فى السنوات الأخيرة من حياة أمه، ثمنه فادحاً.

سُجن إحسان للمرة الأولى فى أغسطس سنة ١٩٤٥، فى عهد حكومة النقراشى، وكتبت السيدة

فاطمة اليوسف إلى ابنها فى سجنه رسالة طويلة مؤثرة، تقول فى بعض سطورها: «أنا لا أخاف عليك مما انتهيت إليه، لأن السجن وقد نزلته كريماً مجاهداً لن ينال من نفسك، وهذا القيد سيقوى فيك غريزة النضال، وستنجلى محنتك كما تنجلى محنة الذهب، وقد صهرته النار، عن الإبريز الخالص الذى لا يشوبه شيء، فكن جريئاً نبيلاً فى سجنك، كما أنت جرئ ونبيل فى حريتك.

إن مصر التى هى فوق الجميع، ستكون كما يستحق كل مصرى أن يكون، وأحمد الله الذى لا يحمد على مكروه سواه أنك بين شباب مصر الذين هم صورة لمصر التى نرجو أن تكونها».

- ٩ -

«صباح الخير» هى الشقيقة الصغرى لمجلة «روزاليوسف»، وقد صدر عددها الأول فى الثانى عشر من يناير سنة ١٩٥٦، ومع «الكتاب الذهبى» و«كتاب روزاليوسف»، تكتمل منظومة المؤسسة التى بدأت فى محل «حلوانى كساب» بجنيهات قليلة، فإذا بها فى أقل من ثلث قرن، تتحول إلى صرح شامخ، يضفى الحيوية فى حياة الصحافة المصرية، ويدافع ببسالة عن قيم

التقدم والتنوير والعقلانية.

لا يمكن الفصل بين تاريخ المؤسسة وحياة المنشئة الرائدة، لكن حياة المؤسسة مستمرة وممتدة بعد رحيل فاطمة اليوسف، وبعد التأميم الذى حول المشروع الخاص إلى ملكية للدولة.

تغيرت قيادات، وتبدلت سياسات، وبقيت «روزاليوسف» زهرة يانعة لا تعرف الذبول فى حديقة الصحافة المصرية تجاوزت عامها الثمانين، لكنها تحتفظ بالشباب الدائم والحيوية التى لا تعرف الشيخوخة والخمول. فى عيد ميلاد المجلة السابع عشر، ١٩٤٢، كتب الدكتور سعيد عبده زجلاً يقول فيه:

«دنيا الصحافة ياروزا أنت باريزها
وأنت الصبية الحليوة من عواجيزها
غنى القلم يوم ميلادك والورق زغرط
يامدرسة كلنا.. كنا تلاميذها»..

وما أصدق الكلمات السابقة فى التعبير عن رحلة المؤسسة العريقة.

# الفصل الثالث
# الاقتصاد والإدارة

- ١ -

السائر فى شارع «قصرالعينى»، حيث يقع القصر الجميل الأنيق لمؤسسة «روزاليوسف»، وما حوله من المنشآت والمبانى، التى تضم مقار التحرير لمجلة «روزاليوسف» والصحيفة اليومية ومجلة «صباح الخير»، والمطابع والإدارة والمكتبة، قد لا يعرف أن البداية لم تكن على هذا النحو من التأنق، ذلك أن المؤسسة الصحفية المعاصرة الشامخة، مادياً ومعنوياً، قد بدأت قبل ما يزيد قليلاً عن ثمانين عاماً، ١٩٢٥، بجنيهات قليلة وإمكانات محدودة، دون مقر مستقل أو مطبعة خاصة، وبمجموعة من المحررين المتطوعين المؤمنين بجلال وخطورة مهنة الصحافة.

على الصعيد المادى، تقدر الأصول الآن بملايين الجنيهات، وعلى المستويين الصحفى والفكرى يصعب تحديد قيمة مادية تماثل العطاء وحجم التأثير. التأمل الموضوعى فى الفارق الشاسع بين المشهدين، ١٩٢٥ و٢٠٠٨، يشير بجلاء ووضوح إلى الطفرة الاستثمارية الهائلة التى بدأت بعدة جنيهات، وبمبادرة فردية شجاعة من الرائدة الكبيرة فاطمة اليوسف، المرأة الفولاذية التى قررت أن تنشىء مجلة أسبوعية تحمل اسمها بعد

اعتزالها للتمثيل المسرحى، وسرعان ما تحول المشروع البسيط إلى علامة مضيئة خالدة فى تاريخ الصحافة المصرية.

- ٢ -

ولدت فكرة المؤسسة العملاقة فى محل «حلوانى كساب»، وقد تساءلت فاطمة اليوسف بعد أن طرحت على مجموعة من أصدقائها فكرة إنشاء المجلة «كم يتكلف إصدار ثلاثة آلاف نسخة من مجلة ملزمتين على ورق أنيق؟».

لم يكن أحد من مجالسيها ذا صلة وثيقة بالصحافة وخباياها إلا إبراهيم خليل، وكان يعمل فى جريدة «البلاغ». أجرى الرجل «حسبة بسيطة» قرر بعدها أن تكلفة العدد لن تزيد على مبلغ ١٢ جنيهاً، ثم أعمل قلمه فى الورقة مرة أخرى، وقال: فإذا بيعت النسخ كلها، كان صافى الربح فى العدد الواحد.. خمسة جنيهات!.

تكلفة إصدار العدد، بمقاييس وأسعار منتصف العشرينيات فى القرن العشرين، ليست بالمبلغ الباهظ أو التافه، أما الأرباح المتوقعة فليست طائلة أو ضئيلة.

المقر الأول للمجلة الوليدة هو المسكن الشخصى للسيدة فاطمة اليوسف فى شارع جلال، وهى شقة

مرتفعة فى بيت يملكه أمير الشعراء أحمد شوقى، وكان على المشاركين فى التحرير أن يصعدوا ٩٥ درجة قبل الوصول إلى المقر!.

لم يكن الإطار المادى بالبساطة التى جسدتها كلمات إبراهيم خليل، الذى أصبح فيما بعد واحداً من أعمدة «روزاليوسف»، فقد كانت المشاكل أكبر وأكثر تعقيداً مما تصورت السيدة فاطمة اليوسف، ويتجلى ذلك بوضوح فى قولها إن «الحسبة» التى رسمها إبراهيم خليل كانت كالبلاغات الرسمية لا أساس لها من الصحة!، وإن التكاليف الحقيقية قد تعدت الاثنى عشر جنيهاً بكثير: «ثم تبين أن المتعهد لا يرد ثمن بيع المجلة إلا بعد أن يتسلم العدد التالى، وكنا فى نفس الوقت محتاجين إلى هذا الثمن لكى نصدر العدد الثانى.. بعد أن أنفقنا على العدد الأول كل ما نملك. وبدا الموقف أول الأمر مشكلة لا تقبل الحل، حتى نبتت فكرة توزيع اشتراكات. وطبعنا الدفاتر بسرعة وبدأنا التوزيع، وكنا نصطدم فى توزيع الاشتراكات بمصاعب لا تُقدر.. فمن الناس من كان يرفض الاشتراك فى مجلة فنية، ومنهم من كان لا يصدق أنها ستوالى الصدور ولن تغلق أبوابها بعد عددين أو ثلاثة – وأذكر الآن بين من

عاونني في توزيع الاشتراكات الدكتور محمد صلاح الدين، والممثل الكبير الأستاذ زكي رستم - ولم يكن قد اشتغل بالتمثيل بعد.. وأذكر أيضاً أن الآنسة أم كلثوم دفعت اشتراكاً، وأخذت بقية الدفتر لتقوم بتوزيعه على أصدقائها. وتوالت الأعداد في الصدور.

لم تكن دراسات الجدوى الاقتصادية شائعة ومعروفة في ذلك الوقت البعيد، واقتحمت فاطمة اليوسف مجالاً لا خبرة لها فيه، فكان لابد من اكتشاف المشاكل الاقتصادية والإدارية من واقع العمل اليومي. من الذين أعانوا وساعدوا في مواجهة هذه المشاكل أسماء بارزة: واحد من أبرز الذين تولوا منصب وزير الخارجية في تاريخ مصر، الدكتور محمد صلاح الدين، والممثل العملاق زكي رستم، فضلاً عن كوكب الشرق السيدة أم كلثوم.

لا يخلو المناخ من مشككين في جدوى المشروع الجريء وقدرته على الاستمرار والصمود، لكن الوجه الآخر يتمثل في الذين آمنوا بالفكرة وقدموا الدعم.. ليستمر الصدور.

- ٣ -

تحولت «روزاليوسف» سريعاً من الفن إلى السياسة،

وإذا كانت القضايا الفنية لا تخلو من الصدام والمعارك، فإن الأمر مختلف في السياسة، ذلك أن الصراع العنيف والحروب الطاحنة بمثابة قوام العمل وخبزه اليومي. ولأن فاطمة اليوسف عنيدة شجاعة لا تعرف المهادنة والمساومة، ولأنها تنتصر في حماس لما تراه حقاً وصواباً دون تفكير في العواقب، فقد كان منطقياً أن تعاني من الصعوبات المادية، وأن تدفع ثمناً فادحاً لتأييد الوفد والهجوم على حكومات الأقلية والانقلاب الدستوري على عهدي محمد محمود وإسماعيل صدقي.

لقد دافعت «روزاليوسف» عن الدستور والحرية بلا حدود، ولقيت رواجاً كبيراً حتى أصبح الناس يتلهفون على يوم صدورها، وقابلت الحكومة هذا التوجه الجرىء بالعنف البالغ فصادرت المجلة مرات، وعطلتها مرات أخرى. وكانت الوزارة لا تصادر المجلة إلا بعد أن يتم طبع جميع نسخها، حتى تكون خسائرها المالية فادحة.

وتعلق السيدة فاطمة اليوسف على هذه الإجراءات التعسفية بقولها: «وكنت أواجه هذا التحدي بإصرار، كلما عطلت الوزارة المجلة أصدرت مجلة أخرى باسم جديد».

خسائر مادية باهظة، وإصرار على الاستمرار فى القيام بالواجب وأداء الرسالة السياسية والمهنية دون تقصير. كان «الأذى» الاقتصادى سلاحاً لإرهاق المجلة الشجاعة وصاحبتها الجريئة، أما الوجه الآخر فهو السعى إلى شراء الذمة والإغراء بالمال والدعم، ففى غمرة الصراع العنيف قررت حكومة محمد محمود أن تجرب سلاحاً آخر: «فزارنى يوماً موظف كبير فى الداخلية يعرض علىّ أموال الحكومة فى نظير تخفيف الحملة على محمد محمود وحكمه المطلق.. ولكننى رفضت، ثم تبين أن الموظف الكبير ظل يقبض مبلغاً شهرياً بدعوى أنه يوصله إلينا.. وكان محمد محمود يعجب حين يعرف أن النقود تدفع فى حين أن المجلة ماضية فى عنفها.. حتى اكتشف أخيراً أن النقود تذهب إلى جيب الموظف الكبير.. فطرده شر طردة»!.

التهديد والوعيد من ناحية، والإغراءات والرشاوى من ناحية أخرى. وقد تكررت محاولات الرشوة مرة أخرى بعد سنوات، فمع الحملات العنيفة التى شنتها المجلة ضد وزارة توفيق نسيم، فوجئت السيدة فاطمة اليوسف وهى فى مكتبها بزيارة من أحد تجار الورق ومعه صحفى كبير، وكان أول ما تبادر إلى ذهنها أن مجىء

التاجر يستهدف طلب نقود جديدة، لكن الهدف من الزيارة كان تقديم عرض من دار المندوب السامى البريطانى، يتضمن دفع خمسة آلاف جنيه كدفعة أولى، ثم ألفى جنيه شهرياً لفترة طويلة، مقابل وقف الحملة ضد الوزارة!.

رفضت فاطمة اليوسف بطبيعة الحال، لكن ما أثار دهشتها هو أن يجيء العرض من السفارة البريطانية، فلم تكن تتصور أن السفارات تطرق هذا السبيل!.

الصحافة سلاح حيوى فعال فى صناعة وتشكيل اتجاهات الرأى العام، والإغراءات الاقتصادية أداة يلجأ إليها أصحاب المصالح، من المصريين وغير المصريين. ولمعرفة طبيعة الإغراء المادى الذى رفضته الصحفية الرائدة، يكفى أن تُترجم القيمة الشرائية للآلاف التى عُرضت عليها فى منتصف الثلاثينيات، فهى بأسعار اليوم تعنى الملايين!.

- ٤ -

ثمة جانب اقتصادى مهم، فى تجربة السيدة فاطمة اليوسف، يتعلق بقضية التوزيع وطبيعة المنافسة الصحفية، فقد انعكس الصدور اليومى لروز اليوسف سلباً على معدلات توزيع الصحف اليومية المنافسة،

ووجـدت هـذه الصـحف أنهـا لـن تسـتطيع مـجـاراة «روزاليوسف» اليومية من ناحية السبق بالأخبار أو قوة أسرة التحرير أو جرأة النقد أو جدة التبويب، فبدأت المنافسة فى النواحى التجارية التى تحتاج إلى مال كثير وكان أول ما فعلته «الأهرام» فى هذا السياق التنافسى هو شراء سيارات لورى خاصة لنقل الجريدة إلى الإسكندرية، فالقطار الذى ينقل الصحف كان يصل إلى العاصمة الثانية فى الحادية عشرة صباحاً، ورأى صاحب الأهرام ورئيس تحريرها جبرائيل تقلا أنه إذا استطاع أن يصل بسياراته إلى هناك فى الساعة السابعة أو الثامنة، فإنه يستطيع اكتساح السوق. اشترى السيارات، وأجرى عدة تجارب لنقل الجريدة، وكانت هذه أول مرة تستعمل فيها الصحف سيارات نقل خاصة بها.

لم تكن فاطمة اليوسف قادرة على شراء سيارات اللورى باهظة الثمن، وكان البديل المتاح هو استئجار التاكسيات لنقل المجلة من القاهرة إلى الإسكندرية، نظير ستة جنيهات يومياً للسيارة. ولأن الأمر يحتاج إلى خمس أو ست سيارات، فقد بلغت التكلفة اليومية ثلاثين جنيهاً، وهو بتعبير فاطمة اليوسف «ثمن

رهيب»!.

وكان التلاعب فى سوق التوزيع سلاحاً آخر لجأ إليه المنافسون، ففى منتصف الثلاثينيات لم يكن عالم الاستثمار الصحفى يعرف فكرة شركات التوزيع، وكان القطر المصرى كله مقسماً إلى أربع مناطق هى القاهرة والإسكندرية والوجه البحرى والوجه القبلى، وكل منطقة لها متعهد خاص هو الحاكم بأمره فيها، المتحكم حتى فى أصحاب صحفها.. فيما عدا الأهرام الذى كان يوزع لحسابه فى منطقة الوجه القبلى فقط، ولا يجوز لواحد من المتعهدين الأربعة أن يتعدى قط على منطقة زميله أو ينازعه اختصاصه.. وكان هؤلاء المتعهدون الأربعة من العصاميين، نشأوا باعة صحف سريحة، ثم أصبحوا بعد جهاد عنيف متعهدى توزيع.

لاحظت فاطمة اليوسف أن التوزيع يهتز، وأحست أن ثمة عوامل مجهولة تلعب فى الخفاء، ثم علمت أن بعض الصحفيين المنافسين يلجأون إلى طرق غير شريفة، فيتصلون بباعة الصحف، ويخفون بعض أعداد المجلة فلا يعرضونها فى السوق!.

تطورت اقتصاديات الصحف، وتغيرت معايير السوق وآليات العمل، لكن الألاعيب القديمة لم تنته بعد،

فمازالت المنافسة قائمة بشقيها المشروع وغير المشروع، ومازال التلاعب فى عملية التوزيع قائماً بأساليب أكثر مكراً ودهاءً!.

- ٥ -

بعد سقوط حكومة توفيق نسيم، قررت حكومة على ماهر صرف تعويضات للصحف التى عانت من الاضطهاد خلال معركة إعادة الدستور، التى استمرت من سنة ١٩٣٠ إلى سنة ١٩٣٥، وكان لكل جريدة حزب من الأحزاب يرعى مصالحها ويطالب بحقوقها، ما عدا «روزاليوسف» التى كانت مستقلة عن الأحزاب قائمة بذاتها. ولو قيست التعويضات بمقدار التضحيات، لجاءت «روزاليوسف» فى المقدمة، وهى التى لم يكن يمر بها عام تفلت فيه من المصادرة إلا قليلاً. لأنها لم تكن خاضعة لحزب، لم يُصرف لها إلا ٥٠٠ جنيه فقط، فى حين صُرف مبلغ سبعة آلاف جنيه لجريدة أخرى، كان كل ما تحملته من تضحيات المعركة لوح زجاج واحداً انكسر فى إحدى المظاهرات!.

خرجت «روزاليوسف» من معركة الدستور مثخنة بالجراح الاقتصادية والخسائر المادية الفادحة، فلقد بلغت خسائر الإصدار اليومى ٢٦ ألف جنيه، غير ستة

آلاف جنيه لتجار الورق، وألفى جنيه لبنك مصر. لم تكن فاطمة اليوسف تجد أجر المطبعة وثمن الورق، وبخاصة أجر المطبعة. كانت تدفع الأجر بالأسبوع، لكن صاحب المطبعة أصر أن يكون الدفع يوماً بيوم. إذا لم يتوفر أجر الطباعة، كان صاحب المطبعة يختفى عن الأنظار، ويترك لعماله الأوامر المشددة بألا يطبعوا إلا بعد دفع النقود!.

توقف الإصدار اليومى من «روزاليوسف» بعد أداء مهنى رفيع المستوى، وكان الدرس الذى استخلصته فاطمة اليوسف أنه لا حياة لجريدة لا تملك مطبعتها، فالمطبعة هى عماد الصحيفة، وهى التى تستطيع أن تعصمها من كل حاجة!.

- ٦ -

تجمع فاطمة اليوسف فى فلسفتها الإدارية بين الصرامة والرقة، ومما يذكره الدكتور إبراهيم عبده فى دراسته القيمة «روزاليوسف.. سيرة وصحيفة» أنها خصمت من محررة فى مجلتها، هى الأقرب إلى نفسها، يوماً من راتبها لأنها تركت مكتبها من غير إذن، وحين نزلا معاً منحتها خمسة جنيهات «بلوفر» كانت المحررة تثنى عليه أمامها وأرتها إياه بالأمس وهما تتفرجان فى

الحوانيت على ملابس السيدات!.

وقد يدخل عليها محرر أو موظف ليقترض من راتبه شيئاً فتأبى أن تقرضه إن كانت أسباب القرض واهية، وتحاسب كل امرىء على الدانق والسحتوت، غير أنها بعد أن ترفض القرض، أو تهز أعصاب كل امرىء فى الحساب، تدعو كليهما إلى تناول العشاء أو السهرة فى أغلى مكان فى القاهرة، ولو بذلت فى ذلك عشرات الجنيهات.

الصرامة عنصر موضوعي يتعلق بالحسم والحزم فى إدارة العمل وفق أسس ومعايير لا تساهل فيها أو تهاون، أما الرقة فسلوك شخصى عاطفى لا يتعارض مع الجانب الآخر فى شخصيتها.

على الرغم من القوة والعنف والدقة، فقد حظيت فاطمة اليوسف بحب واحترام الذين عملوا معها. ومع وجود عشرات الأمثلة والحكايات التى تبرهن على مكانتها فى قلوب العاملين معها، فقد تكفى الإشارة إلى سطور جاءت فى رسالة كتبها أحد أقرب معاونيها، توفيق صليب، عندما قرر الاستقالة: «وثقى بأن الإخلاص لك يملك علىّ كل مشاعرى، لأنك أشرف وأسمى من عرفت من أصحاب الصحف، وسأعرف

كيف أثبت لك إخلاصي فيما بقى من أدوار حياتى».

لم تكن السيدة فاطمة اليوسف خبيرة اقتصادية أو عالمة إدارية، لكن تجربتها الصحفية، التى امتدت ثلث قرن، حافلة بالدروس التى يمكن أن يفيد منها كل مستثمر جاد، فى المجال الصحفى أو غيره من المجالات. كان صمودها فى مواجهة الخسائر والنكسات دليلاً عملياً على صلابتها وقوتها، فهى لم تستسلم يوماً، ولم تفكر فى التراجع وتغيير المسار وإيثار السلامة. وبمثل هذه الإرادة الجبارة نجحت فى تجاوز العقبات والمشاكل، وفى كل يوم تعلو المؤسسة وتتوسع وتعرف الطريق إلى المزيد من الاستقرار والازدهار.

كان منهجها الإدارى مزيجاً من القوة والرقة، فهى تفصل بين الموضوعى والذاتى، ولا ترى فى العمل إلا عملاً، أما العلاقات الإنسانية فتتسع لها أوقات أخرى، وخلالها تحنو بحبها وأمومتها على من كانت تشتد فى التعامل معهم، ويتوالى عطاؤها العفوى لمن رأوا قبل ساعات وجهاً آخر مختلفاً.

كان استثمارها مزيجاً من الاقتصادى والفكرى، فى إطار تغلفه روح فنية لا تخاصم الالتزام والجدية، ولا تتعارض مع الدقة، ولا تجافى المنطق والتفكير العقلانى.

# الفصل الرابع
# مع طلعت حرب

- ١ -

لم تكن السيدة فاطمة اليوسف تخفى إعجابها بالرائد الاقتصادى الكبير طلعت حرب، الذى يمثل فى حياتها الشخصية والمهنية صديقاً وأستاذاً ومثلاً أعلى، فهو الذى يشجع ويدعم ويؤيد وينقذ عند الشدائد.

اللافت للنظر أن البداية كانت عدائية، فقد التحقت السيدة فاطمة اليوسف بفرقة عكاشة المسرحية، التى يمولها ويشرف عليها طلعت حرب، وفى الموسم الصيفى الذى أحيته الفرقة فى مصيف رأس البر، نزلت الفنانة فاطمة لتتنزه على الشاطىء وهى ترتدى «بيجاما» طويلة، وبلغ الخبر طلعت باشا فثار واحتد، فقد رأى فى سلوك نجمة الفرقة خروجاً على التقاليد والأعراف الواجب احترامها والحفاظ عليها، ولذلك صمم على أن تُفصل من الفرقة وتعود إلى القاهرة فى اليوم نفسه!.

ورفضت فاطمة اليوسف بعنادها المعروف أن تعتذر، وأصر طلعت حرب فى المقابل ألا يتراجع عن قراره، وجاء رد فعل الفنانة العنيدة أقرب إلى الاستفزاز المقصود. أقامت على نفقتها الخاصة فى رأس البر، وتعمدت أن تكرر النزول إلى الشاطىء ببيجامتها الطويلة، كأنها «تغيظ» الاقتصادى الكبير المعروف

باتجاهه الأخلاقى المحافظ.

البداية إذن كانت بمعركة صدامية، تتوزع مسئوليتها بين طرفيها: طلعت حرب لأنه تدخل فى السلوك الشخصى بما يتجاوز حقوقه كصاحب فرقة مسرحية يمولها، وفاطمة اليوسف بتطرفها فى الاستفزاز والمكايدة، لكن العلاقة تحسنت بعد سنوات قلائل، وكان مؤسس بنك مصر والشركات العملاقة فى طليعة من ساندوا فاطمة اليوسف، بعد اعتزالها الفن وتفرغها للمشروع الصحفى الجرىء.

- ٢ -

في كتابات السيدة فاطمة اليوسف ثناء لا يتوقف على رائد النهضة الاقتصادية الحديثة، ويُذكر لها أنها أول من طالب بإقامة تمثال لطلعت حرب فى ميدان بارز من الميادين التى تمتلىء بها العاصمة.

كتبت فاطمة فى مذكراتها التى تحمل عنوان «ذكريات»، ما نصه: «وإنى لأتلفت اليوم فى ميادين القاهرة باحثة عن تمثال لطلعت حرب فلا أجد، وأنصت إلى الأصوات التى ترتفع بتخليد ذكرى هذا وتمجيد ذاك فلا أسمع صوتاً يذكر طلعت حرب، ولا أجد إلا تماثيل غريبة للاظوغلى وسليمان الفرنساوى ومن

إليهم.. ولا أدرى ما الذى يمنعنا من رفع واحد من هذه التماثيل ليقف بدلها طلعت حرب؟ هذا الإنسان البسيط الكبير القلب، الذكى الفؤاد، لا يجد التكريم الكافى لذكراه من مواطنيه، وتلاميذه، ومن الذين ورثوا مجده وتربعوا على عروش المال بعده. والناس ينظرون اليوم إلى بنك مصر، وشركاته المنتشرة فى كل مكان، كما ينظرون إلى أى شىء عادى آخر، ولكن الذين عاصروا الرجل وهو يشيد هذا البناء الضخم يعرفون أنه كان معجزة حقيقية».

تحقق ما نادت به فاطمة اليوسف، وحل تمثال طلعت حرب بديلاً لتمثال سليمان باشا، وحمل ميدان سليمان اسم زعيم النهضة الاقتصادية. فكرة التكريم التى تتبناها السيدة فاطمة وتدعو إليها ليست بالمسألة العاطفية الخالصة، ولا تعبر عن مجرد امتنان شخصى مردود إلى العلاقة الثنائية الطيبة بينهما. إنها تربط بين دعوتها هذه وأهم ما يتسم به طلعت حرب من سمات ومزايا موضوعية، تركت آثارها الإيجابية في مجمل التاريخ المصرى، فهو الرائد السباق الذى صنع ما يشبه المعجزات بعمله الدءوب، فضلاً عما يتسم به من صفات شخصية لا يكاد ينكرها أحد: البساطة

والتواضع والذكاء والطموح.

البنك وشركاته المنتشرة بمثابة القفزة الهائلة فى التاريخ الاقتصادى المصرى، ومع مرور السنوات قد لا تحسن الأجيال التالية تقدير إنجاز الرجل، فلا أقل من التذكير الدائم به، عبر تمثال قد يدفعهم إلى التساؤل عمن يكون!.

-٣-

تعى فاطمة اليوسف حقيقة الطفرة التى حققها طلعت حرب، وتشهد له بأنه الذى أزاح الأجانب عن عروش لم يكن ينازعهم فيها أحد من المصريين، وأنه من قام بالمهمة الصعبة دون معاونة من الأحزاب أو الأثرياء، وتحمل وحده عبء إنشاء بنك مصر، مستهيناً بكل الصعوبات والمعوقات.

تشيد السيدة فاطمة بجسارة طلعت حرب وجرأته وريادته، وتشير إلى أن قطاعاً كبيراً من المصريين أنفسهم كانوا غافلين عن أهمية البنك الذى أسسه، وتدلل على ذلك بحكاية طريفة تكشف عن طبيعة المناخ الذى تفاعل معه الرائد العظيم وعانى منه: «ومازلت أذكر أنه ذهب مرة إلى أحد أغنياء المنيا وأنفق ساعتين كاملتين يشرح له وظيفة البنك وأغراضه وأرباح

المساهمين فيه.. وفى نهاية الجلسة، قال له الثرى الكبير: «يابنى.. الله يحنن عليك.. أنا لا أفهم فى هذه الأشياء، ولكن خذ ٢٠ جنيهاً تساعدك!.. ولم يغضب طلعت حرب ولم يفقد أعصابه بل أخذ العشرين جنيهاً وأرسل بها أسهماً إلى الثرى الكبير، ومن يدرى؟ لعل هذا الثرى الكبير قد فهم الآن معنى البنوك، وأصبح من كبار المساهمين».

الثرى الكبير لا يفهم الجدوى الاقتصادية للبنك، والمبلغ الزهيد الذى يدفعه أقرب إلى وسيلة للتخلص من الحرج، ومن جوانب العظمة فى سلوك طلعت حرب أنه لا يسارع بالغضب والانفعال، ويعامل الناس على قدر عقولهم، ويراهن على المستقبل.

كان طلعت حرب، مثله فى ذلك مثل فاطمة اليوسف نفسها، هدفاً لحرب شعواء خاضها ضده الأجانب والملك والصحف الصفراء، ولكل هدفه من الحرب. الأجانب يدافعون عن مصالحهم وامتيازاتهم، والملك فؤاد لا يثق فى طلعت حرب ولا يراه واحداً من رجاله الذين يدينون له بالولاء، والأحزاب لا تؤيده ولا تتعاطف معه لأنه ليس حزبياً، وبعض الصحف تبتزه وتعتبر البنك مغنماً، لكنه صمد وقاوم حتى انتصر، كما صمدت

فاطمة اليوسف وانتصرت.

- ٤ -

ثمة مشتركات لا يمكن إغفالها بين طلعت حرب وفاطمة اليوسف، فكلاهما كان رائداً جسوراً مؤمناً برسالته، وقادراً على التحدى والعناد، وكلاهما كان طاقة هائلة فى العمل الذى لا يتوقف، والطموح غير المحدود، واليقين بأن النهاية ستشهد البرهان على صواب التوجه والاختيار.

فى السادس من يناير سنة ١٩٢٧، كتبت فاطمة اليوسف فى مجلتها الوليدة عن الأغنياء السلبيين الذين لا يقتحمون ساحة العمل الاقتصادى والصناعى، ثم تتوقف أمام المشروع الذى تبناه طلعت حرب دون معاونة جادة من القادرين على دعمه: «ولقد أذن الله أن يلبى نداءها ابن بار مصرى وطنى عامل شجاع، هو صاحب العزة .طلعت بك حرب فيقوم بالمشروع تلو المشروع، وتكلل أعماله بالنجاح».

مرتكزات الإعجاب والثناء مردودة إلى شجاعة الرجل وجسارته وعمله الإيجابى البناء، فهو صاحب المشروعات الناجحة التى تفتقدها مصر بقدر ما تحتاجها، وهو الذى يخاصم حياة الترف الشخصى

ليركز على الإنتاج والبناء والتشييد. ليس مستغرباً إذن أن تجد فيه المستثمر الذكى الجاد الجدير بالاحترام والتقدير، فى ظل أغلبية متواكلة لا مبالية!.

- ٥ -

فى كتابها «ذكريات»، الذى صدرت طبعته الأولى فى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٣، كتبت فاطمة اليوسف عن طلعت حرب: «اقرأوا قصة جهاد طلعت حرب.. ابحثوا كيف صنع لكى يجد فى مصر – ومنذ ربع قرن – رؤوس الأموال الكافية لكى ينشىء عشرات الشركات من مال مصرى حر، وبأيد مصرية صميمة! ولو ظهر فى مصر خمسة فقط مثل طلعت حرب لاستقلت مصر اقتصادياً من زمن بعيد، ولأدى هذا الاستقلال الاقتصادى حتماً إلى الاستقلال السياسى الذى مازلنا نكافح من أجله!. وليس كلامى عن طلعت حرب فى هذا المجال بغريب.. فقد كان الرجل إلى ذلك كله فناناً.. وقد قدمت أنه كان يشرف على فرقة عبدالله عكاشة ويمولها.. وأضيف الآن أنه هو الذى أنشأ ستوديو مصر الذى لا يزال المؤسسة الفنية الأولى فى عالم السينما.. لم يبخل عليه بالنفقات والجهود، لأنه كان يعرف تماماً قيمة الفن حين يخدم المجتمع».

اقتصادى ذو رؤية استراتيجية تحتاج مصر إلى كثيرين مثله لتظفر بالاستقلال الحقيقى، اقتصادياً وسياسياً، وتبدأ رحلة الصعود إلى التقدم، وهو فى الوقت نفسه فنان يعى قيمة الرسالة النبيلة التى يضطلع بها الفنانون للنهوض بالمجتمع. ولأنه رجل أعمال من المولعين بالفن، فإنه حريص على التواصل مع العاملين المجتهدين أصحاب المبادىء والرسالات.

عندما حاصرت الديون فاطمة اليوسف، بعد خروجها عن الوفد وتصاعد الحصار حولها، اقترضت من بنك مصر، وإذ عجزت عن سداد الأقساط، كتبت رسالة بليغة مؤثرة لطلعت حرب: «الرجل العظيم الذى مد يده الحنون أستند عليها، يوم تخلى عنى كل إنسان فى محنتى التى نزلت بى، لأنى جهرت بعقيدتى، ولأنى جعلت من صحيفتى ميداناً لأصحاب الأقلام الحرة، وعندما تسلحت بروح الله، قيض الله سبحانه رجل مصر العظيم لعونى، فلبى حاجتى وعلمنى أن رحمة الله قريبة من قلب كل مخلوق».

لا تتنصل فاطمة اليوسف من الدين والأقساط المستحقة عليها، وتؤكد فى رسالتها أنها عازمة على الالتزام وبذل المستحيل لتفى وتسدد: «ولا أفعل هذا كله

إلا لكى لا أضيع عبثاً ثقة وضعها فى أعظم رجل فى مصر».

أعظم رجل فى مصر، وثقة غالية تفخر بها السيدة فاطمة، ذلك أنها تعى معنى الالتزام والوفاء بالعهود.

- ٦ -

طلعت حرب وفاطمة اليوسف رمزان جليلان شامخان فى حياة مصر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وامتد تأثيرهما بلا توقف أو تراجع. كان الرائد الاقتصادى الكبير من المؤمنين برسالة الفن، وله إسهام غير منكور فى نهضة المسرح وتأسيس وتطوير صناعة السينما. وكانت الرائدة الصحفية والفنانة القديرة من السباقات فى اقتحام عمل ذى أبعاد اقتصادية ينوء به أعتى الرجال.

التقارب الإنسانى الشخصى بينهما تعبير عن المشتركات الكثيرة التى تجمعهما، وإعجاب السيدة فاطمة اليوسف بطلعت حرب لا يقتصر على الجوانب الذاتية التى عرفتها بفضل الصلة المباشرة التى جمعتهما، فهى تعلى من شأن إنجازه الموضوعى الذى يتجاوز السمات الفردية، وترى فيه أنموذجاً ناجحاً

متكاملاً للعظمة الحقيقية، وهى عظمة يراها فيها الكثيرون من مقدرى عطائها.

# الفصل الخامس
# أعمدة الشخصية

- ١ -

فى «ذكريات» السيدة فاطمة اليوسف، الكتاب ذى الأسلوب الرشيق البسيط، يمكن التوقف أمام كثير من العبارات المضيئة التى تكشف عن رؤى وأفكار الرائدة الجليلة، وتقدم خلاصة فلسفتها فى الحياة، وأهم المرتكزات التى تشكل منظومة قيمها ومبادئها. كلماتها هذه تستدعى التأمل الطويل، والسعى إلى الربط بين محتواها ومسيرة رحلتها.

لكى يستقيم فهم الشخصية ويكتمل، لابد من الوعى بتسع مقولات متناثرة يضمها الكتاب، وتمثل فى مجموعها أعمدة الشخصية التى أثرت الحياة الصحفية فى مصر، وقدمت أنموذجاً لنمط فريد من الاستثمار الثقافى والفكرى، الذى يبدأ بالقليل المحدود، وينتهى بصرح شامخ عملاق.

- ٢ -

(ليس من عادتى أن أنظر كثيراً إلى الماضى.. فقد كان لدى دائماً من مشاكل اليوم والغد، ما يشغلنى عن تأمل الأمس البعيد. على أن الماضى لا يموت أبداً. إنه يعيش فينا بكل ما مر فيه من سعادة أو شقاء، وإنه ليكفى أحياناً أن يمر بالإنسان حادث صغير، أو مناسبة

بسيطة، لينهار هذا السد الذى نقيمه دون الماضى، وتتدفق كل الذكريات، كالموج الهادر).

ثلاثية الماضى والحاضر والمستقبل، الأمس واليوم والغد، مما توقفت عنده فاطمة اليوسف وانشغلت به. الانكباب على الماضى لا يجدى، والأولى هو التركيز على الحاضر والتطلع إلى المستقبل، لكن التعايش مع اليوم ومراودة الغد لن يتم بمعزل عن إدراك معطيات التاريخ والوعى به والإفادة من دروسه، على المستويين الذاتى والموضوعى.

ليس من المصلحة أن يموت الماضى، فهو حى بتفاعلاته المستمرة ومؤثراته التى لا تتبخر، والهدف الأسمى للأفراد والجماعات أن يتحول ما فات إلى علامات تتيح التواصل مع الحاضر، وتمهد لبناء مستقبل يخلو من العراقيل والأزمات، ويتجاوز الأخطاء ساعياً إلى تداركها وتجنب معاودة تكرارها.

القطيعة مع الماضى ليست واردة، والذوبان فيه إلى درجة التلاشى قد يقود إلى الهلاك، والبديل الذهبى هو تحقيق التوازن والمراهنة على التصالح بين المراحل المتعاقبة.

- ٣ -

(البكاء هو أسهل وأرخص طريقة للتعبير عن التأثر).

تأتى عبارة فاطمة اليوسف السابقة فى سياق التعليق على موقف واجهته وهى تمثل أمام الفنان الكبير عزيز عيد فى مسرحية «غادة الكاميليا». بكت من شدة التأثر بمستوى أدائه، لكنه بكاء استثنائى لا يتكرر ولا توصى به.

فى الفن والحياة معاً، لا تجدى الدموع، فليس من شيم الأقوياء أصحاب الإرادات والعزائم أن يلجأوا إلى ما هو سهل ورخيص للتعبير عن مشاعرهم. الأمر هنا لا يعنى تجاوز حدود البشر أو نفى حقهم المشروع فى الضعف والشعور بالرغبة فى التنفيس عما يعانونه من مشاكل وضغوط، لكنه يشير إلى هوان الوسيلة وابتذاله فى التعامل مع الآخرين من ناحية وفى مواجهة الشدائد والنكبات من ناحية أخرى.

لا ضير ولا غضاضة فى أن يبكى الإنسان، شريطة ألا تكون دموعه هى أداته الوحيدة فى المقاومة، ذلك أنها وسيلة سلبية لا تعينه ولا ترتقى به. وعبر عقود متصلة من العمل الشاق الجاد، واجهت السيدة فاطمة اليوسف عشرات من الأزمات والمحن والمشاكل الخطيرة، فلم

تعـرف البكاء أو الشكوى، ذلك أن القـانون الأسـاسـى الذى يحكمها وتتمسك به هو المقاومة العملية الإيجابية.. بلا دموع.

-٤-

(إذا كـان الاندمـاج فى الدور مـيـزة كـبـرى، فـإن الاندماج الزائد ينقلب إلى أداء منفلت من صاحبه، ليس له زمام).

لا يقتصر مفهوم الاندماج هنا على أسلوب الأداء التمثيلى، بل إنه ينصرف أيضاً إلى منهج التعامل مع الحياة وما تحفل به من الأحداث والحوادث. الاندماج الزائد قرين العاطفة والانفعال، ولن تترتب عليه إلا نتائج عاطفية وقرارات مرتجلة. قد يكون الاندماج مقنعاً ومؤثراً وصادقاً، لكن تجاوز الاعتدال لن يفضى إلا إلى انفلات الزمام وهيمنة العشوائية.

الرؤية العقلانية المتزنة هى العاصم من مبالغات الإسراف العاطفى، وإذا كان الممثل مطالباً بمزيج من الاندماج والوعى، فإن البشر العاديين فى حيواتهم اليومية وكفاحهم الذي لا يعرف التوقف، مطالبون بالمعادلة نفسها: الحماس الزائد، والانتباه الدائم إلى المتغيرات والمؤثرات النابعة من حقيقة أن الآخرين

يشـاركـون فى الأداء، ولهم منطلقـاتهم المخـتلفـة وحساباتهم المغايرة ومصالحهم المناقضة.

لم «تندمج» السـيـدة فـاطمـة اليـوسف وتتـوهـم فى نفسها ما ليس فيها، ولم تعرف المبالغة المتشنجة فى الحيـاة والعـمل، فـهى أقـرب إلى صـيـغـة الاندمـاج المحسوب، حيث لا يغيب الوعى بقواعد اللعبة التى تتسع لغيرها.

-٥-

(الفنان الحقيقى يستفيد من كل نقد سليم يُوجه إليه، والفنان الحقيقى لا يخدشه أى نقد زائف).

الإنسـان الحـقـيـقى السـوى، البـعـيـد عن أمـراض النرجسية والغرور، يتقبل النقد ويستوعب الآخر، فإذا كان النقد زائفاً متحاملاً قاسياً بلا مبرر، وإذا كان الآخر الناقد بعيداً عن الإنصاف والموضوعية، فلن يتأثر المرء سلباً بما يقال عنه من الأباطيل والأكاذيب.

لا تخلو حياة الفرد من أخطاء وعثرات ومزالق، فإذا لم يجد من ينبهه ويقومه سيواصل الانحدار والانهيار وصولاً إلى هاوية بلا قرار. وإذا لم يتمكن الإنسان من التأمل الهادىء لكل ما يُقال عنه، ساعياً إلى الإفادة منه لتصويب المسيرة والنجاة من الخلل حتى لا يتكرر، فإنه

يكون عدواً لنفسه. هو وحده القادر على التمييز بين الحق والباطل، والوعى بصحة ما يتردد أو جنوحه إلى المبالغة والخطأ فى التحليل والتقييم.

يشهد تاريخ السيدة فاطمة اليوسف أنها لم تضق يوماً بما يُقال عنها، وقد استهدفها الكثيرون بسيل من الاتهامات، وبالغ بعض ناقديها إلى درجة التطاول والخلط والإساءة الشخصية، لكنها حرصت دائماً على الفرز الدقيق: من الأخطاء الحقيقية تتعلم، وأما الأباطيل فلا تلقى إليها بالاً.

- ٦ -

(العمل الجيد فى ذاته خير من كل أنواع الدعايات).

لا غنى عن الإعلام والإعلان والدعاية، فى حياة الفرد ومسيرة المؤسسة، فهى الوسائل التى تتيح التعرف على ما يُقدم من أعمال فى شتى مناحى الحياة، لكن القانون الذى تؤمن به السيدة فاطمة اليوسف، وتطبقه عملياً فى مرحلتيها الفنية والصحفية، يتمثل فى الحرص على إتقان العمل فى المقام الأول، فهذا الإتقان بمثابة الدعامة الأولى فى الترويج والدعاية والنجاح الصحيح. لا يستطيع الإعلان المدفوع أن يحول الفشل إلى قيمة إيجابية، أو يضفى معنى على أشياء لا قيمة لها.

العمل الجيد المتقن هو فى ذاته دعاية مجسدة تمشى على قدمين، فضلاً عن أنه دعامة وركيزة كل أنواع الدعايات والإعلانات التقليدية.

لم تكن السيدة فاطمة اليوسف غافلة عن أهمية الإعلان فى مشروعها الصحفى الذى توفرت له كل أسباب النجاح، لكنها وعت منذ البدء أنه لا دعاية ناجحة بمعزل عن العمل الجيد، وقد تعرضت الرائدة الكبيرة عبر مراحل كثيرة من حياتها لضغوط شتى، وعانت من حروب دعائية مضادة تقودها قوى لاشك فى تأثيرها ونفوذها، لكن الرد كان يأتى عملياً من خلال تقديم صحافة جيدة مستقلة، تملك خطاباً حراً، وتهدف إلى طرح رؤى متماسكة .قادرة على الإقناع وطرح البدائل.

- ٧ -

(الفنان الحقيقى إنسان لا يتغير ولا يساير. فالفنان الحقيقى لا يعتز بشيء قدر اعتزازه بفنه وكرامته، ولا يرى فى الدنيا شرفاً أرفع من الولاء للمثل العليا التى يمثلها هذا الفن، أو مجداً يدانى الإخلاص له والتفانى فى خدمته. وكل سيد غير الفن - فى نظر الفنان الحقيقى - مهما كانت عظمته ومهما بلغ مجده

وسلطانه.. أتفـه من أن يرضى بأن يضـحى من أجله بذرة واحدة من ولائه للفن).

الثـبـات على المبـدأ لا يعنى الجـمـود والانغـلاق، والاعتزاز بالكرامة ليس مجرد قيمة أخلاقية ومعنوية، بل إنه أيضاً أداة عملية لا نجاح بغيرها. أن تكون مؤمناً بما تقوم به، وحريصاً على التشبث بالقيم والمبادىء، جزء من رأس المال غير المباشر، الذى يتم استثماره فى أى وكل مشروع.

المحصلة النهائية تتمثل فى مردود معنوى ومادى، فـالاحـتـرام قـيـمـة مـعنوية تنعكس بالضـرورة على الحسابات المادية، ذلك أن السمعة الطيبة جزء لا يتجزأ من أصول العمل الناجح، والإخلاص والتفانى سلاحان «منتجان»، فضلاً عما فيهما من الالتزام الأخلاقى.

فى مـعـاركـهـا الصـحـفـيـة الكثـيـرة، السـيـاسـيـة والاجتماعية والفنية، تمسكت السيدة فاطمة اليوسف بكرامتها ومثلها العليا، ودافعت دائماً عما تعتقد أنه الصحيح والمثالى، ولم تلق بالاً إلى ما قد يترتب على ذلك من خسائر وتضحيات، فالعائد الاستراتيجى البعيد لابد أن يكون مكسباً وربحاً، ولاشك أنه يعنى المزيد من النجاح والثقة.

- ٨ -

(ظلت روزاليوسف مدرسة تلمع فيها الأقلام الشابة، وتتخرج فيها الوجوه الجديدة الناجحة. وحين أفكر فى السبب الذى أضفى على «روزاليوسف» هذه الصفة البارزة لا أجد سبباً أقوى من: الحرية. الحرية التى كانت «روزاليوسف» دائماً تعالج بها المسائل العامة. والحرية التى كانت تعطيها لمحرريها، فهذه الحرية تسعى إليها، وتبرز فيها).

لعل الحرية هى القيمة الأسمى فى المدرسة الصحفية الشامخة التى أسستها السيدة فاطمة اليوسف، وبفضل هذه القيمة تخرجت أجيال وأجيال من المدافعين عن كل ما هو عصرى مستنير عقلانى. لم تكن الحرية عند الرائدة الكبيرة أن تتعرض بشجاعة للقضايا الوطنية والاجتماعية والثقافية فحسب، لكنها أيضاً أن تدير العمل الداخلى فى المؤسسة وفق مبدأ الحرية، فيشعر كل كاتب ومحرر أنه ليس مقيداً أو مسيراً بلا إرادة.

بفضل هذه القيمة النبيلة، استطاعت السيدة فاطمة أن تضفى على مؤسستها شخصية مستقلة، فلا تنازل عن المطالبة بالحرية للوطن وأبنائه من ناحية، ولا تهاون فى منح الحرية للعاملين من ناحيــة أخرى. وفى هذا

السياق، يبدو منطقياً أن تحافظ المؤسسة العريقة على شبابها بلا ترهل أو ذبول، فالمسألة هنا تتجاوز الأعمار.

إحصاء الأقلام التى ترعرعت فى «روزاليوسف» يفوق الطاقة، فعبر عقود متتالية ظهرت أسماء تفوق الحصر، والمظلة التى تجمعهم هى الإيمان غير المحدود بالحرية.

- ٩ -

(عصامية مثلى تشعر دائماً أنها غير مدينة بما وصلت إليه لأحد، يصعب عليها جداً أن تخضع للتهديد مهما كان بسيطاً).

العناد الإيجابى من ملامح شخصية السيدة فاطمة اليوسف، والمقصود بـ«الإيجابى» هنا أنه لا ينبع من الاستجابة الانفعالية للاستفزاز، أو الخضوع للهوى دون العقل. إنه الإصرار المحسوب على مواجهة كافة المغريات دون مهادنة، ومرد ذلك هو طغيان الشعور بالعصامية، فالذين يبنون أنفسهم بالعمل الشاق، ويحققون النجاح بجهد ذاتى لا فضل فيه لأحد، يصعب أن يخضعوا للتهديد والابتزاز.

لقد اصطدمت السيدة فاطمة مع الوفد وقياداته ذات الشعبية الطاغية، وكانت تعى أن الصراع ليس متكافئاً

ولا يمكن أن يكون، لكن «العناد الايجابي» هو ما دفعها إلى أن تتشبث باستقلاليتها، وتترفع عن السير فى القطيع وترديد ما يُقال لها ويُملى عليها.

للوهلة الأولى يبدو الاختيار مهلكاً محفوفاً بالخسائر الفادحة، لكن المكسب الأعظم هو يقينها الراسخ بأن من يبنى نفسه معتمداً على العمل، مطالب أن يتمسك بالبنيان الحر الذى شيده.

- ١٠ -

(الذين يقولون إن السياسة شيء قذر مخطئون، فإذا كان هناك ساسة قذرون فإن هذا لا يشين السياسة نفسها، ولا يلوثها. وماذا تكون السياسة؟. أليست السياسة صراعاً يدور حول حريات الناس وحقوقهم.. وكفالة العيش الرغيد والكرامة الموفورة لهم؟ أليس التعليم والإنتاج والتعمير والإصلاح.. بل والترفيه أيضاً.. أليست كلها أشياء يجب أن توجهها سياسة؟).

السياسة عند فاطمة اليوسف ليست لعبة قذرة، وهى - أيضاً - ليست مفهوماً معقداً يحتاج شرحه إلى استخدام المصطلحات المعقدة التى يستعصى فهمها على العاديين من الناس. السياسة هى خدمة الوطن والمجتمع، وهى السعي الدائم إلى الحرية والحياة

الأفضل، وهى العلم والعمل والإنتاج والترفيه.

السياسى يوجه ويدير، ومثل كل نشاط إنسانى لا تخلو الساحة السياسية من خلل وانحراف وتجاوز، لكن هذه الإفرازات السلبية لا تعنى الانصراف عن العمل السياسى قدر ما تعنى الإصرار على الممارسة الإيجابية الجادة، والتصدى لمن يؤدى انحرافهم إلى الكوارث والمصائب.

الصحافة سلاح سياسى ذو استقلالية وخصوصية، والصحفى يمارس السياسة على طريقته وإن لم يكن منتمياً إلى تيار سياسى محدد. ولقد كانت فاطمة اليوسف من مؤيدى حزب الوفد إلى منتصف الثلاثينيات، واستمرت فى الانشغال بالسياسة بعد انشقاقها عن الوفد واختلافها معه، ذلك أنها تتجاوز الانتماء الحزبى الضيق، وتتطلع دائماً إلى خدمة الوطن والمجتمع، والدفاع عن الحرية والتقدم، ومراودة أحلام الحياة الأفضل عبر وسائل لا يحتكرها فريق سياسى دون فريق.

- ١١ -

دروس فاطمة اليوسف تتمثل فى إيمانها الراسخ بضرورة تحقيق التوازن بين الماضى والحاضر

والمستقبل، وفى التسلح بالقوة التى لا تعرف الضعف السلبى ولا تعترف به، وفى الانتصار للعقل والرؤية المتزنة البعيدة عن التشنج والانفعال، وفى الاعتزاز بالكرامة والقيم والمبادئ الأخلاقية، وفى التمسك بالحرية التى لا يستقيم التطلع إلى التقدم إلا بها، وفى العناد الإيجابى المترتب على الاعتزاز بالذات، وفى النظر إلى السياسة كنشاط إنسانى لا هدف من ورائه إلا وجه الوطن ومصالح المواطنين، وفى تقبل النقد البناء وقبول الآخر المختلف، وفى الإعلاء من شأن العمل كأداة أولى للانتشار والإعلان عن التفوق، وفى الثبات على المبدأ دون جمود أو انغلاق.

دروس فاطمة اليوسف ليست كلمات بليغة تُقال وتُكتب، لكنها ممارسات واقعية فعلية تتحول معها الكلمات إلى أفعال، وما أندر الذين يجمعون بين القول والفعل.

# الخاتمة

- ١ -

المسرح والصحافة من معطيات الحياة العصرية، وقد عرفتهما مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبدأت مرحلة النضج والاستقرار مع بدايات القرن العشرين، وصولاً إلى المزيد من الرسوخ في أعقاب الثورة الشعبية العظيمة سنة ١٩١٩، التي كانت إيذاناً بتحرر مصر من مخلفات قرون التخلف والتبعية، وبداية حقيقية للانطلاق في ركب الحضارة والتقدم.

المسرح والصحافة وثيقا الصلة بالرأي العام، ولم يكن للمرأة المصرية نصيب يُذكر فيهما، أو مشاركة إيجابية مؤثرة، وهو ما يعبر عن نظرة دونية للمرأة من ناحية، وطغيان الشعور بعدم الارتياح إلى الفن المسرحي الوافد والصحافة من ناحية أخرى.

كان منطقياً أن تغيب المرأة عن هذين المجالين، وهو غياب يتوافق مع محدودية دورها في شتى مناحي الحياة. ومن هنا، تمثل السيدة فاطمة اليوسف ظاهرة استثنائية في تاريخ الثقافة المصرية، فهي التي جمعت بين الريادة في المسرح والصحافة معاً. إنها النجمة المتألقة صاحبة الأدوار الجادة الخالدة في تاريخ المسرح المصري، حتى أُطلق عليها اسم «سارة برنار الشرق»،

وهى أيضاً أول امرأة خاضت تجربة الإصدار الصحفى المتميز، الذى يتجاوز عمره الآن ثمانين عاماً.

قد يتضمن تاريخ الصحافة المصرية أسماء نسائية سابقة للسيدة فاطمة اليوسف، لكن الأسبقية فى العطاء المحدود لا تعنى الريادة فى التأسيس والاستمرار. ولقد نشرت مجلة «المصور» قرب نهاية العشرينيات صورة للسيدة منيرة ثابت، وقالت إنها أول مصرية تدخل ميدان الصحافة، فسارعت فاطمة اليوسف بمقابلة الأستاذ اميل زيدان، رئيس التحرير، وطلبت منه أن ينشر صورتها مع التنويه بأنها الرائدة الحقيقية، لكنه رفض النشر، حتى لو كان إعلاناً مدفوع الثمن!.

لم تكن مبادرة فاطمة اليوسف تعبيراً عن غرور أو نرجسية، لكنه التشبث بأن يُكتب التاريخ كما ينبغى أن يُكتب.

- ٢ -

بجنيهات قليلة، فى العام ١٩٢٥، أسست فاطمة اليوسف مشروعاً قُدر له أن ينمو ويزدهر، وأن يتحول إلى واحدة من أكبر المؤسسات الصحفية فى مصر. تحولت الجنيهات القلائل إلى ملايين، وأصبحت المجلة

الصغيرة مؤسسة عريقة تخرج فيها مئات من أعلام ورموز الصحافة والثقافة والأدب، واقترن الاسم بكل ما هو جاد وشجاع ومستنير وعصرى.

كان اقتحاماً جسوراً فى ساحة تحيط بها المشاكل والصعوبات، واستطاعت المرأة الشجاعة بإرادتها الفولاذية أن تصمد وتقاوم كل عقبة واجهتها، فإذا بها تشيد هرماً معاصراً يقدم أنموذجاً فذاً للاستثمار الناجح فى مجال الصحافة، وأكثر ما يميز هذا الاستثمار أنه ليس اقتصادياً فحسب، لكنه أيضاً فكرى ومعرفى، وتصاحبه دروس عديدة مثمرة فى المجالين الاقتصادى والإدارى على حد سواء.

من المنطقى إذن أن يظهر تشابه ملموس بين السيدة فاطمة اليوسف والرائد العظيم طلعت حرب، فهى تشيد به وترى فيه مثالاً للعظمة والعطاء، وهو بدوره يشجعها ويقدم لها الدعم ولا يخفى إعجابه بتجربتها الناجحة.

كلاهما، طلعت وفاطمة، من الرواد المؤسسين الإيجابيين، وهما عازفان عن السلبية والتواكل، مؤمنان بأن تقدم مصر لن يتحقق إلا باقتحام كل ما هو بعيد عن الاهتمام من قبل الأغلبية السلبية اللامبالية.

- ٣ -

لا يملك من يكتب تاريخ الصحافة المصرية إلا التوقف طويلاً أمام تجربة «روزاليوسف»، الشخص والمؤسس، وليس من شك في أنها برهنت عملياً على القدرات الكامنة في المرأة المصرية، شريكة الرجل في رحلة البناء والكفاح، والرئة الثانية التي عُطلت قروناً متواصلة فعاني المجتمع من ضيق في التنفس وتعثر في الصعود إلى ما يصبو إليه أبناء المجتمع، رجالاً كانوا أم نساء.

امرأة بألف رجل من الذين يقنعون بالمشاهدة والفرجة، وفي مسيرة حياتها، الشخصية والمهنية، تجسيد أخاذ لمزيج من الريادة والإرادة. لا تحتذيها النساء من بنات جنسها فحسب، لكنها أيضاً قدوة للرجال ممن يرون في تجربتها الثرية الشجاعة ما يستدعي الاحتذاء والمحاكاة.

التطلع إلى الماضي وتأمله ليس هدفاً في ذاته، فالغاية الحقيقية أن نستلهم الدروس ونفيد من التجارب. وفي هذا السياق، يمكن النظر إلى السيدة فاطمة اليوسف على اعتبار أنها معاصرة بسلوكها وعطائها، وصاحبة رؤية استثمارية تبدو الحاجة ملحة إلى وجودها الآن، بل ووجود الكثيرات من شبيهاتها.

# ملحق الصور



السيدة فاطمة اليوسف



فاطمة اليوسف: هجرت التمثيل إلى الصحافة



فاطمة اليوسف
الرائـدة



فاطمة فى شبابها مايو ١٩٣٢



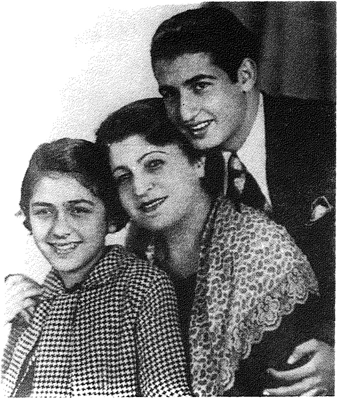
فى دور لها بالمسرح



فاطمة اليوسف مع زوجها



مع زوجها زكى طليمات



فاطمة اليوسف وإحسان
عبدالقدوس وآمال



فاطمة اليوسف وإحسان



يوسف وهبى مع السيدة روز اليوسف فى إحدى المسرحيات على مسرح رمسيس .. كان يوسف وهبى يصر على أن يكتب فى الاعلانات .. يوسف بك وهبى



غلاف العدد الأول فى «روزاليوسف»
«الاثنين ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٢٥»

# روز اليوسف

للاستاذ الاديب ابراهيم عبد القادر المازنى

إذن لماذا تعالج السيفروز فنا غير الذي خلقت له وهيأت لها فطرتها أسباب النجاح فيه ؟ لا أدرى ! فلعلها نزوة ، وعسى أن تكون قد جاشت نفسها بإحساسات قوية غامضة — كما يحدث لنا جميعا — فاقتضت تبغي الإفضاء بها والكشف عنها والترفيه عن نفسها من طريق ذلك . أو لعلها ملت أن تظل عمرها تحيا على المسرح غير حياتها وتلبس خلاف عواطفها وحواسها وآرائها وتجرى بلسانها بما وضع عليه غيرها ، فتاقت من أجل ذلك أن تنضو كل هذه الثياب المستعارة وأن تبدو لنا كما هي على الحقيقة لا على المجاز . ولعلك لو سألتها في ذلك لما دريت كيف تقول في تعليل هذا الذي أقدمت عليه وشرعت فيه ! وإن ذلك الذي يحسن أن يدير عينيه في نفسه حتى يقف على أخفى البواعث على ما يأتي وما يذر ، لا أحد فيما أظن !

وأحسب أن من قلة الذوق أن تكون هذه كلمتي إليها في أول عدد من مجلتها . ولكن عذرى أني أشد إعجابا بفنها وأعظم تقديرا لمواهبها من أن تطاوعني نفسي على تشجيعها على مهاجرة المسرح والانصراف إلى الكتابة . وأنا أرجو ألا تعدم وسيلة التوفيق بين رغبتها هذه وبين حق الفن عليها !

هناك إذن على المسرح مجالك يا سيدتي فارجعي إليه ، وإلا فأين الآلهة فلكن سوى لا تشغلنا ؟

جزء من مقال المازنى عن روزاليوسف
فى العدد الأول من المجلة

# استلفات نظر

ستنشر فى الاعداد القادمة مقالا عن الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد بقلم الاديب عبد الرحمن افندى صدقى فنلفت اليها الانظار

مع الشكر

المجلة تقبل مع الشكر صور مشاهير السيدات والرجال

رجاء

ترجو المجلة حضرات الادباء والكتاب الذين تفضلوا عليها بنفثات أقلامهم ان يراعوا الايجاز ما استطاعوا نظراً لطبيعة المجلة ونطاقها المحدود

الاعلانات

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات والمخابرة مع ادارة المجله

متعهد بيع المجلة

متعهد بيع المجلة بالاسكندرية هو حضرة ماهر افندى حسن

## طبع بمطبعة البلاغ

( بشارع الشريفين رقم ٧ تليفون رقم ٥٣ – ٦١ مصر )

من محتويات العدد الأول فى روزاليوسف



شوقى



العقاد

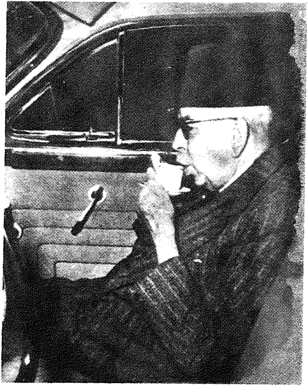


التابعى



محمود عزمى

**اسماء فى حياة فاطمة اليوسف**



إسماعيل صدقى
خاضت فاطمة اليوسف ضده معارك طاحنة



طلعت حرب
علاقة وثيقة مع فاطمة اليوسف




موقف عنيف بعد الاختلاف مع الوفد



كان عهدى عهدك في الهوا .. يا نعيش سوا يا نموت سوا

جوهر سوقف مؤسسة «روزاليوسف»
بريشة الفنان عبدالسميع عبدالله





النحاس

مكرم عبيد

من الصداقة إلى العداء

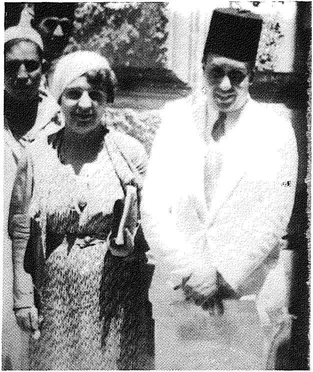


مصطفى أمين



على أمين

تعلما الصحافة فى مدرسة روزاليوسف



أمام محكمة عابدين اثناء نظر
قضيـة مصـادرة روز اليـوسف
ويظهر معهـا فى الصورة وزير
الخارجية الأسبق



السيدة روز اليوسف وحفل تكريم



فاطمة فى صورة تجمعها مع
النقراشى باشا وعلى ماهر باشا
وفى الخلف يظهر الكاتب الصحفى
على أمين وزوجها الأخير قاسم
أمين الصحفى بروز اليوسف



أيدت فاطمة اليوسف ثورة يوليو بلا تردد

# الفهرس

المقدمة .......................................... ٣
تمهيد .......................................... ٥
الفصل الأول
قبل الصحافة .......................................... ١١
الفصل الثانى
مسيرة مؤسسة .......................................... ٢٣
الفصل الثالث
الاقتصاد والإدارة .......................................... ٤١
الفصل الرابع
مع طلعت حرب .......................................... ٥٥
الفصل الخامس
أعمدة الشخصية .......................................... ٦٧
الخاتمة .......................................... ٨١
ملحق الصور .......................................... ٨٥

رقم الإيداع
٢٠١٠/١٤٨٨٤

الطباعة : مؤسسة دار الهلال ـ القاهرة

## صدر من هذه السلسلة




١ - ملك القطن (محمد أحمد فرغلي باشا)




٢ - العصامي (أحمد عبود باشا)




٣ - الملتزم (أنطون سيدهم)

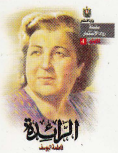
الكتاب القادم

## عبداللطيف أبورجيلة الإمبراطور

الملمح الأكثر بروزاً فى رحلة عبداللطيف أبورجيلة يتمثل فى المحطات المكانية الكثيرة التى تقترن باسمه ، فهو ابن مدينة إسنا الصعيدية و النشأة فى السودان ، والتعليم والعمل الأول فى القاهرة ، والخبرة العلمية والعملية مكتسبة فى لندن وروما ، والصفقة الأولى فى إيطاليا والمزيد من الشهرة والتوسع والنجاح فى القاهرة من جديد ، وبعد التأميم يتوزع النشاط بين إيطاليا والسودان ، وفى أعقاب الأخذ بسياسة الانفتاح الاقتصادى يعود إلى مصر دون استقرار فيها .

ليس فى تاريخ رواد الاستثمار المصرى من يشبهه فى تعدد محطات الانتقال من مكان إلى مكان، ومن كل هذه الأمكنة كان عبداللطيف أبورجيلة يتعلم ويضيف إلى خبراته وتجاربه ، ويكتسب من روح المكان الذى يرتبط به سمة يضيفها إلى شخصيته ، تتراكم الخبرات المنوعة لتشكل فى محصلتها النهائية اقتصادياً بارعاً، ذلك الرجل البسيط المتواضع المثقف المرح الحكيم ، الذى عاش يستمتع بالعمل والنجاح ، ويجد المتعة الكبرى فى الإضافة والإنجاز.






من ليس له ماض ليس له حاضر ولا مستقبل، وماضى الاستثمار المصرى يؤذن بحاضر نلمس ثماره، ومستقبل واعد تلوح تباشيره، وما الفجر ببعيد ، هذه الصفحات بين دفتى هذا الكتاب الرابع من سلسلة «رواد الاستثمار» محاولة محمودة من وزير معتبر «الوزير محمود محيى الدين» ومن وزارة مرتبة «وزارة الاستثمار» لإعادة كتابة تاريخ الاستثمار المصرى الذين يبدو كشجرة ليمون عتيقة
وتعبق رائحتها مستقبل الوطن.

حماس «دار الهلال» العريقة لإعادة طبع سلسلة
واصطحابها كتابا تلو الآخر مع كبرى إصداراتها
الدار صاحبة الدور الوطنى على الدور الوطنى الذى
الوطن ورفعته، وتأكيد على أن هذا الوطن يعرف
الذين ضحوا وبذلوا لكتابة اسمه بحروف من نور،
عنهم لماما وتتداول شذرات جد ظالمة، آن الأوان لكتا
آخر يهدى الحيارى.



المصور